

أسباب انتشار فكر الخوارج في صدر الإسلام

تأليف الشيخ :
أحمد بن حسن المعلم



سلسلة رسائل العقيدة والمنهج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م

مركز الكالم للطباعة
للبحوث والدراسات

الجمهورية اليمنية - صنعاء - هاتف : ٢٥٣٤٦١ - ١ - ٩٦٧ +

فاسوخ : ٢٥٣٤٦٠ - ١ - ٩٦٧ + ص.ب (١٤٤٢٠).

البريد الإلكتروني : E-mail : alkalemac@yahoo.com

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي هدانا للإيمان، وعلمنا الحكمة والقرآن، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد :

فإن هذا الكتاب القيم الموسوم بـ «أسباب انتشار فكر الخوارج في صدر الإسلام» لمؤلفه الشيخ / أحمد بن حسن المعلم، ذو أهمية بالغة في بابه، كونه يناقش الظاهرة الخاصة بفكر حاكمية الخوارج، من بداياتها الأولى، حيث وهذا الفكر قد أثر على مسار التاريخ الإسلامي لعصور طويلة، وقد أمتد أثره إلى أوقاتنا الحاضرة.

إننا في (مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات) نرجو أن نقدم في هذه المباحث المشتغل عليها الكتاب أنموذجاً علمياً موضوعياً يخدم الباحثين والدراسين المعنيين بهذا المجال، خاصة وأن مؤلف الكتاب من أصحاب الأقلام الرصينة في تقديراته العلمية.

نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن ينفع بهذا الإصدار ويعيننا جميعًا على تحقيق المقاصد بما لا يتنافى مع حاكمية الشريعة الإسلامية التي هي نبراس الحياة في جميع المجالات .. «إن الله بالغ أمره» ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

وبالله التوفيق ..

مركز الكلمة للطباعة
للبحوث والدراسات

ربيع الثاني ١٤٣٤هـ

فبراير ٢٠١٣م

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أمر بالتفكر والاعتبار، وقال بعد ما قص ماجرى ليهود بني النضير جراء مكربهم وخيانتهم: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي جلى لنا حقيقة الخوارج المارقين، وما يجب على الأمة نحوهم بما لم يفعله مع أي فرقة من فرق الضالين المبتدعين، وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الصادق الأمين. أما بعد: فهذا تلخيص وتهذيب لسلسلة محاضرات كنت قد ألقيتها على بعض طلاب العلم والدعاة إلى الله منذ ما يقارب خمس عشرة سنة، ألقيتها حين كانت بعض الأفكار والمناهج المنحرفة تنفّس وتوسع وتكتسح الساحة الدعوية في البلاد الإسلامية، بأسلوبها العاطفي المتجدد الغريب على ما يألّفه الناس من خطاب دعوي وعلمي، الذي صادف قلوباً فارغة، ونفوساً متعطشة للجديد، أيّا كان ذلك الجديد، فلما أخذت الصحوة طريقها إلى تلك النفوس والقلوب بادرت للشك في السائد من أساليب الدعوة والتعليم، وتلقفت ذلك الجديد «فصادف قلباً خالياً فتمكّنا» وحينها تأملت سر ذلك القبول وعلّة ذلك الانتشار لتلك الأفكار، وهل لهذه الظاهرة مثال

سابق من حيث قوة التأثير وسرعة الانتشار وتوسعه، فقادني ذلك التأمل إلى النظر في تاريخ فرقة قديمة ضالة هي من أشد الفرق ضلالاً ومن أسوأها أثراً على الأمة، وفي نفس الوقت كانت قد لقيت إبان نشأتها قبولاً كبيراً لدى فئات كثيرة من عوام المسلمين المحبين للخير، وحوّلتهم إلى قوة ضاربة أسهمت إلى حد كبير في توقف مد الفتوح الإسلامية، كما أسهمت بقسط وافر في إضعاف الدولة الأموية وإشغال الدولة العباسية ردحاً من الزمن، تلك هي فرقة الخوارج.

وقد عرّفت بها تعريفاً موجزاً، ثم ذكرت نشأتها وجذورها التاريخية وأدوارها، ثم عرجت على جملة من الأحاديث الصحيحة المتعلقة بها، ومن خلال تلك الأحاديث عدت أشهر صفاتها مستشهداً على ذلك ببعض ما جاء عنهم من تصرفات تؤكد ما جاءت به الأحاديث، كما ذكرت أبرز أصولهم التي بنوا عليها مذهبهم أو قلّ مذاهبهم، ثم خلصت إلى أهم الأسباب التي دعت إلى انتشار فكرهم رغم تلك الانحرافات التي كانوا يبدونها، وقسمت تلك الأسباب إلى أقسام:

القسم الأول ما يعود إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية وظهور الإنحراف في نظام الحكم وسير الحكام.

والقسم الثاني ما يعود إلى الخوارج أنفسهم وما يحملونه من صفات وخصائص تفرض الإعجاب بأصحابها لدى من يراها ويسمعها.

والقسم الثالث ما يعود إلى عامة الأمة وما لديها من نزعات تهيء لقبول الغلو وتُعجب بالغلالة، وتتعاطف مع من يصادم الواقع بغض النظر عن استقامته أو انحرافه.

ثم ختمت بخاتمة تعرضت فيها لحقيقة مهمة هي: أن تلك الأفكار المنحرفة والمناهج الضالة مهما كبرت وتضخمت واغتر بها الناس؛ فإن مصيرها إلى الزوال والتلاشي، وقد ضربت أمثلة لكثير من الأفكار التي سادت ثم بادت أو كادت، وبعد الاستعراض السريع لبعض تلك الفرق توقفت عند فرقة هي قريية العهد بنا حكمتها تلك السنة الكونية «انتعاش الباطل ثم زهوقه» فملأت الدنيا ضجيجًا، وأشغلت الإعلام ومجالس العلم والدعوة زمنًا، واستحوذت على مجاميع هائلة من الشباب المتجه إلى الدين والعلم والدعوة ذكورًا وإناثًا، ثم مالبت أن أصبحت أثرًا بعد عين، رصدت ذلك كله لأقول: بأن كثرة الأتباع أو قوة الإنفعال أو إظهار ما قد يكون نكالا على الظالمين أو الكافرين، إن ذلك وحده ليس برهانًا على صحة المنهج ولا على استقامة أصحابه ولا على دوام عطائه وإنما هي جولة خاطفة ثم تنتهي: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيْبَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْبَةٍ اجْتَنَّتْ مِنَ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(١) ، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ فِيمَكُّهُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) وأقول أيضًا: إننا نشاهد

(١) إبراهيم: ٢٦.

(٢) الرعد: ١٧.

وسنشاهد ما يشابه ذلك فلا ننخدع به، ولا يغرنا بقوة أثر، ولا بسرعة انتشار، ولا بكثرة أتباع، ولا بأسلوب خطاب.

وأخيراً أقول: إن المقارنة هنا هي في وسائل الجذب لذلك المنهج وتلك الفرق، وليس تشبيهاً كاملاً لمن نتحدث عنهم من المعاصرين بالخوارج في الضلال وما يستحقونه من أحكام في الدنيا ولا في الآخرة إلا من تشبه بهم فيما يوجب ذلك.

لقد كانت دوافع تلك إلقاء تلك المحاضرات حاضرة في ذلك الوقت، واليوم تجددت دوافع أخرى لإخراج تلك المحاضرات لتناسب النشر، كما قمت بتعديلات يسيرة في صلب الكلام ومضمونه؛ حمل على ذلك الفترة الزمنية الفارقة بين إلقاء المحاضرات ونشر الكتاب سواءً من الناحية الواقعية أو من ناحية ما طرأ عليّ من تغيير لبعض القناعات والمواقف، وقد سميته: (أسباب انتشار فكر الخوارج في صدر الإسلام). أسأل الله يتقبله، وينفع به، ويعفو عن ما فيه من خطأ أو سهو، إنه سميع مجيب.

أحمد بن حسن المعلم

المكلا - حضرموت

أسباب اختيار هذا الموضوع

أولاً : أن هذه الفرقة - فرقة الخوارج - فرقة مارقة ، فيأتينا ما ذكره عنها رسول الله ﷺ من أنهم : يمرقون من الدين ، وأنهم كلاب أهل النار ، وأنهم شر الخلق والخليقة . هذا وصف رسول الله ﷺ لهم ، وأما وصفهم الواقعي ، وهو ما ذكره المؤرخون ، فوصفٌ تقشعر منه الأبدان ، فحياتهم وتاريخهم : قتلٌ ونهبٌ وسلبٌ وترويعٌ للآمنين ، وحشية متناهية مع المسلمين ، قلة عقل وسخافة رأي وعصبية مُفرطة وأمور كثيرة .

ثانياً : وجود جماعات معاصرة تتصف كل منها ببعض صفات الخوارج، وقد انتشرت وتوسع أتباعها في الساحة وعظم خطرهما، وانخدع بها طوائف من الناس ظناً أن الظواهر الحسنة التي تظهر بها أحياناً لا يمكن أن يكون وراءها شر . ومن هذه الجماعات من تشبهت بهم في الخروج على الأمة حكماً ومحكومين واستحلت دماءها وأموالها وأعراضها ، كجماعة التكفير بمصر والجماعات المسلحة في الجزائر ، وبعض جماعات الجهاد في أماكن مختلفة من بلاد الإسلام ، ومنها ما ظهر عليها صفات أخرى من صفاتهم مثل : قلة الفقه ، وضحالة التفكير ، وحمل القرآن والسنة على خلاف محملها ،

ورفض العلماء والأكابر ، والإعجاب ببعضهم البعض ، والصدور عن رأي حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، وشدتهم على أهل الإسلام وتهاونهم مع غيرهم ، والإعجاب بالرأي ، واستحلال أعراض المخالفين ، والغلو في الدين ، وعدم إغذار المخالف في المسائل الاجتهادية .

ثالثًا : أن الخوارج مع قبيح مذهبهم وفحش انحرافهم وشناعة أعمالهم ، ومع وجود النصوص المحكمة الدالة على ذمهم والتحذير منهم ، بل الأمر بقتالهم وقتلهم وبيان سوء عاقبتهم ، وأنهم كلاب النار ، وشر الخلق والخليقة : قد اتسع أمرهم وعظم شرهم وبعُد صيتهم وانجذب إليهم طوائف من الناس كثيرة، فما سر ذلك ؟ وهل توسع الجماعات الغالية هذه الأيام كان بنفس تلك الأسباب؟ .

رابعًا : أنني أريد من هذا البحث التوضيح لإخواني وأبنائي أن وجود خير في جانب من الجوانب ، لا يسوّغ التغاضي عن الشر الكبير الذي تترتب عليه نتائج خطيرة ، خصوصًا إذا كان ذلك الشر حذر منه الشرع وبيّن نتائجه السيئة ودعا إلى حسمه والقضاء عليه .
خامسًا : أن انتشار حركة ما، وبعُد صيتها ووجود دعايات وتلميع لرموزها ، لا يعني أنها على الحق .

سادسًا : التحذير من الخطاب الحماسي والطرح العاطفي المجرد عن الحقائق العلمية ، والفهم المستنير لنصوص الشرع ، وأنه قد

يؤثر ويسحر السامع وخصوصًا قليل الفقه ضيق التفكير ، فبعض الناس تراه كأنه مجبور على أن يقتنع ويتابع ويرضى بالخطاب الحماسي، فما دام سمع إنسانًا دائمًا يتكلم بحماس شديد وحرقة يعتبر أن هذا صحيح ، ودخلت هذه الكلمات شغاف قلبه ، وأحبها وأحب قائلها وتبعه على الخير وعلى الشر ، على الصحيح وعلى الخطأ.

سابعًا : التحذير من قطع صلة الجيل بسلفه وعلمائه المعاصرين والمتقدمين وحصرهم في مصدر واحد لا يعرف الحق إلا من طريقه، فإن هذا المسلك من أخطر المزالق التي أوصلت الخوارج إلى ما وصلوا إليه .

ومع وجود النصوص الواضحة في وصفهم ، ومع شناعة أفعالهم وقبح معتقداتهم ، إلا أنهم انتشروا في وسط العالم الإسلامي، وشكلوا تيارًا قويًا رَوَّعَ النظام والحكام ، وأقَصَّ مضاجع عامة المسلمين ، وأوقف زحف الجهاد في سبيل الله ، وشتت العالم الإسلامي تشتيتًا كبيرًا، هذه ظاهرة ملفتة للنظر .

فلهذا ينبغي أن يُدرس لماذا يقتنع الناس بهؤلاء وينجرون وراءهم ، وينضمُّون إلى صفوفهم ، ويقتنعون بأفكارهم رغم أنهم لا يحملون فكرًا ناصعًا ، ولا يقدمون حلًّا حاسمًا للمسلمين !؟

وفوق ذلك فالنصوص تشهد عليهم بالمروق والضلال وبالنار في الآخرة .. نسأل الله العافية .

والغريب أنه في هذا العصر يوجد تيارات وجماعات إسلامية تحمل بعض أفكار هؤلاء ، فمنهم من أخذ عنهم التكفير ، ومنهم من أخذ طريقتهم في معاملة المسلمين الآخرين ، ومنهم من أخذ طريقتهم في ترويع الأمنين ، وهذه الجماعات موجودة في أحضان العالم الإسلامي ، وبين دعائه وعلماؤه ، ومع ذلك فإن هذه الأفكار تجد مناخاً خصباً وأتباعاً كثيرين ينساقون وراءها .

ولو تطلعت فيما بين عامي (١٣٩٥هـ - ١٤٠٥هـ) لوجدت كيف انتشرت جماعة شكري مصطفى الجماعة التكفيرية في مصر ، رغم بشاعة مبادئها وأساليبها في نشر تلك المبادئ ومعاملتها مع الناس ، ولم تنتشر في مصر فقط ، بل صار لها فروع في أنحاء العالم الإسلامي ، وحتى بلادنا اليمن لديها نصيب كبير منها فانتشرت فرق من أتباعها ، بل أصبحت قرى كاملة في مناطق إب وبعض مناطق صعدة وتهامة ، أصبحت كلها تكفر شيبانها وأطفالها وشبابها يكفرون الناس .

واليوم في حضرموت يوجد من هؤلاء ، ومن هؤلاء التكفيريين بعض بائعي القات ، وربما لو أتاحت لهم الفرصة لنشروا هذه الفكرة ، وبالمناسبة هم قريبون منا ويصلون صلاتهم والجمعة

والعيد في مُصلى مهجور لم يعد يصلي فيه أحد يقع في منطقة الغويزي^(١)، إضافة إلى وجود بعض جماعات الجهاد المتطرفة .

ومن هؤلاء جماعات في الجزائر ، وقد سمعنا عن جرائمهم البشعة ، مثل ما حصل في ليلة واحدة ، حيث قتل أكثر من مائتي شخص ذبحاً ما بين أطفال ونساء ورجال في قرية آمنة لا علاقة لها بالسياسة ولا بالمسؤولين ولا بالنظام ولا بشيء من ذلك .

وقد كنّا نكذب ما يحدث ، نكذب النظام ونقول إن ما يحدث هو من أعمال المخابرات ، ولكن ظهر أنه من عمل هؤلاء المتطرفين الذين نسمةم الغلاة الخوارج .

وهناك طوائف - كما ذكرت - تحمل كثيراً من خصائص الخوارج في جانب المعاملة مع إخوانهم المسلمين ، وفي جانب التكفير ، وفي جانب التعصب للرأي ، وفي جانب عدم الإغذار في المسائل الخلافية ، وغير ذلك ، وهي موجودة ومنتشرة ، وللأسف أنها قد وجد لها رواج ، وأخذ الناس بكثير من الأمور البراقة التي تتصف بها هذه الجماعات .

إننا دائماً ندعو إلى الإنصاف ، لانظلم صاحب الخير ، و لا نغطي على ما عنده من الخير ، ولكن في نفس الوقت أن ما عند

(١) من مناطق مدينة المكلا عاصمة محافظة حضرموت وقد بُني الآن مكانه مسجداً لأهل السنة والله الحمد .

إنسان من الخير يجعل الكثير منا يتغاضى عن أخطائه ، والذي ينبغي علينا أن لا نتغاضى عن تصرفاته الرعناء وعن أعماله المضرة والمفسدة ، وخصوصاً إذا كانت هذه الأعمال لها نتائج سيئة لا تقتصر على صاحبها، وإنما تؤدي إلى مضرة الناس ، فلا بد من بيانها والتحذير منها ومن الاغترار بها .

وانتشار أي حركة وُبعد صيتها وترويجها وتلمييعها - كما هو شأن الخوارج - والترويج لشخصياتها ورموزها أحياءً وأمواتاً: يجعل الناس ينشدون إلى هذه الفرقة ، ويجعلون من شخصياتها شخصية المرشد ، شخصية الإنسان الذي هو جدير بالاتباع ، إلى غير ذلك، فهذه الرموز جعلت الإنسان بمجرد أن يسمع اسمها يسلم لها بالتقدير والاحترام وبالتقديس أحياناً ، وبالتالي إذا وصل إلى هذه الدرجة ، فلن يتردد في اتباع ما تقول ، والأخذ بما تدل عليه . إن هذه الشخصيات جعلت الناس ينساقون حول هذه الفرقة الضالة - فرقة الخوارج - ليقتلوا على أيدي المسلمين ، وليكونوا من كلاب النار في الآخرة ، وخصوصاً قليل العلم من الناس ، قليل الفقه، فإن الخطر عليه كبير .

وعلى الرغم من وجود الصحابة وكبار التابعين وفقهاء الأمة في القرن الأول ، إلا أن قادة الخوارج استطاعوا أن يفرضوا قوة واسعة بينهم ، فالخارجي لا يمكن أن يسمع إلا من قاداته فقط ،

وأما أن يسمع إلى علي عليه السلام، أو يسمع إلى ابن عباس ، أو يسمع إلى أحد الصحابة ، فهذا مستحيل ، لأنهم قد ملأوا صدورهم وعقولهم بأن هؤلاء كفار ، وأن هؤلاء منحرفون عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وطريق الشيخين أبي بكر وعمر ، وبالتالي لا يصح الاستماع إليهم ، ولا الجلوس معهم ، لا يصح محادثتهم ومناظرتهم .

وستأتي قصة ابن عباس لما أتى من قبل علي عليه السلام لمناظرة الخوارج، فقام بعضهم وقالوا لإخوانهم : علامَ تناظرون هذا الرجل ؟! والله إنه من قريش، وأنتم تعرفونهم أنهم أصحاب جدال ، بل هم قوم خصمون ، فكيف تجالسونهم ، فإن مجالستهم لها معنى بأنه سيقنعكم بالباطل الذي عنده .

وهذا الكلام يقولونه في ابن عباس رضي الله عنهما الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعلم التأويل وأن يفقه في الدين ، فهذا يعني أن كل مصدر يأتي منه الحق يسد ويُبتر ، وليس لهم مصدر يتلقون منه علمهم وفقههم ومنهجهم إلا مصدر واحد هو قائدهم ، وأياً كان سواء فإنه ملغي ولا قبول له ، هذا مسلك خطير جداً ، وهو الذي أودى بهم إلى ما وصلوا إليه .

وإن وجود مثل هذا المسلك في حياتنا المعاصرة وبين أفراد المسلمين ، سيؤدي إلى مأزق كبير وفتنة عمياء ، لأنه سيصد الجليل عن الثقة بعلمائهم ، والتعرف على الحق الذي يأتي من مصادر مختلفة، فأين هذا المسلك - مسلك الخوارج - من مسلك مالك ابن

أنس -رحمه الله تعالى- الذي طلب منه خليفة المسلمين المنصور - الذي يملك بلاد المسلمين من المغرب إلى الصين ، ومن أواسط أوروبا إلى أقصى الجنوب ، وهو من أقوى الخلفاء- يقول له: عزمت أن أمر بكتبك هذه - يعني الموطأ - فتنسخ نسخاً ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة وأمرهم أن يعملوا بما فيها ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث؛ فإني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم، قلت يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الناس قد سيقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سيق إليهم وعملوا به، ودانوا به من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم، فقال: لعمرى لو طاوعتني لأمرت بذلك^(١).

وهذا المسلك الذي سلكه الإمام مالك هو الذي أيده وأثنى عليه، واعتبره ميزة كبيرة وحسنة عظيمة للإمام مالك كل علماء أهل السنة واعتبروا هذه الكلمة من مالك من أعظم الفضائل ، وأعظم الميزات التي تميز بها -رحمه الله تعالى- .

هذا بالنسبة للأسباب التي دعتنا للكلام في هذا الموضوع ، ونأتي إلى تعريف موجز للخوارج ونبذة عن نشأتهم وجذورهم التاريخية .

(١) سير أعلام النبلاء: (٧٨/٨ - ٧٩).

الفصل الأول

التعريف بالخوارج

ونبذة عن نشأتهم وجدورهم التاريخية

أولاً : التعريف بالخوارج : هم الطائفة التي خرجت على علي بن أبي طالب عليه السلام.

بعد حدوث الفتنة والحرب بينه وبين معاوية بالذات ، وقد كانوا في جيش علي ، ثم خالفوه وأنكروا عليه أمورًا ، وبهذا الإنكار كفّروه ومن معه من الصحابة ومن التابعين ، وكفّروا معاوية ومن معه ، ولم يبق مسلم بنظرهم إلا هم ومن كان على شاكلتهم ، ولهم سمات وعلامات كثيرة ، وسيأتي -إن شاء الله- كلام واسع عنهم من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وما وصفهم به ، ومن كلام أهل العلم فيهم ، لكن من أبرز أمورهم أنهم اتصفوا بالغلظة وبالشدّة في التعامل مع أنفسهم ومع الناس وأنهم يكفرون من خالفهم حتى في الأمور التي فيها اجتهاد^(١).

فلا يوجد مجال للاجتهادات والمخالفات عندهم ، فإذا اختلف اثنان فخالف أحدهما أمرًا ليس ببين وليس بواضح ويعدّ من المسائل الاجتهادية التي يتوصل إليها بظنّ غالب : كفر أحدهما الآخر ، وينشأ بسبب ذلك فرقة جديدة طبعًا ، ويصبح كل منهما له أتباع يكفرون الآخر وأتباعه ، هكذا بدأوا بفرقة واحدة ، وانتهوا بأكثر من سبعين فرقة.

(١) ولهذا كثر بينهم التكفير ، وهذا قد فصلته في محاضرة بعنوان: (هكذا توالدت فرق الخوارج) .

ومن صفاتهم أيضًا أنهم يكفّرون بالذنوب، كبيرها بالاتفاق ،
وصغيرها عند كثير منهم ، ويكفّرون من لم يلحق بهم ، وإذا لم
يلتزم أحد بفكرهم ، فهو كافر في نظرهم .

هذه هي فرقة الخوارج ، سُمّوا بالحرورية أول ما خرجوا ،
لأنهم عندما حاربوا عليًا عليه السلام انتبذوا إلى مكان اسمه (حروراء)^(١) ،
فتجمعوا هناك فسموا بالحرورية نسبة إلى ذلك المكان .

ثانيًا : نشأتهم وجذورهم التاريخية :

(أ) في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يقسم قسمًا أتاه ذو الخويصرة -رجل من بني تميم - فقال : يا
رسول الله اعدل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ويلك ومن يعدل إذا لم
أعدل؟! قد خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل!» ، فقال عمر بن الخطاب :
يا رسول الله، ائذن لي أن أضرب عنقه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «دعه
فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم و صيامه مع
صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام
كما يمرق السهم من الرمية»^(٢) .

(١) موضع بظاهر الكوفة تنسب إليه الحرورية من الخوارج؛ لأنه كان أول اجتماعهم
بها وتحكيمهم حين خالفوا عليًا رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري ٢٢٨١ / ٥ برقم ٥٨١١ .

وقد جاء وصف هذا الرجل في بعض الروايات في الصحيحين وغيرهما أنه: «عَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفٌ الْوَجْتَيْنِ نَاشِزُ الْجُبْهَةِ كَثُ اللَّحْيَةِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ»^(١) مُشَمَّرُ الْإِزَارِ»^(٢).

وتظهر النزعة الخارجية فيه باعتراضه على الرسول ﷺ ، ووصفه بعدم العدل ، فانظر إلى جرأته ، يقول للرسول ﷺ الأمين الذي أمنه رب السموات والأرض على هذه الأمة ، على أرواحها وأعراضها وأموالها ودينها يقول له : اعدل! ظن أنه اطلع على أن النبي ﷺ لم يعدل ، فاعترض بهذا عليه أمام الملائم بقوله: اعدل ، بل ورد في بعض الروايات التصريح بأنه قال له : إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله^(٣). يقول ذلك لرسول الله ﷺ ، فأى أدب هذا؟ إنها سخافة عقل وجرأة . هذا هو الإعجاب بالنفس ، من أنت حتى تقف أمام رسول الله تقول له هذا الكلام؟ كانت هذه البذرة الأولى للخوارج في الأمة الإسلامية ، ولهذا كان عمر يريد أن يقتله .

ثم هدأت الأمور وانشغل الناس بهامهم فيه من الدعوة والجهاد والأعمال التي يقيمون بها دولة الإسلام .

(١) حتى شكله - سبحانه الله - كان شكلاً مخيفاً ، فضلاً عن سخافة عقله . كأن شكله الخارجي يتناسب مع عقلته التي كان ينطلق منها .

(٢) أخرجه البخاري ٤ / ١٥٨١ برقم ٤٠٩٤ ومسلم في الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: ١٠٦٤ .

(٣) أخرجه البخاري (٣١٥٠) ، ومسلم (١٠٦٢) .

(ب) في خلافة أبي بكر رضي الله عنه :

لم يظهر في عصره شيء من تلك الظواهر ، ولعل السبب كان الاستقرار التام بعد القضاء على أصحاب الردة ، وإجماع الأمة على عدل ونزاهة وصلاح واستقامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والانشغال بجيش أسامة ثم المرتدين والفتوح ، وقصر مدة خلافته رضي الله عنه ، فلم يكن هناك مناخ يستطيع أن ينشأ فيه هذا الفكر وينتشر فتأخر وتقهقر وتوارى .

(ج) في خلافة عمر رضي الله عنه :

كذلك لم يظهر أثر واضح لهذا الفكر ، كون الأمة منشغلة بالفتوح ، والأمر الداخلي مستقر ، وشخصية عمر المهابة تمنع ظهور ذلك ، إضافة إلى أنه الباب الذي ما ظهرت الفتنة إلا بعد كسره ، ومع ذلك برز شيء يسترعي الانتباه وهو وجود شخص يتعمق في الأمور وينقب عن أشياء لا يغني التنقيب عنها ، و يتكلف ما لا حاجة له به ، وهو صبيغ بن عسل ، فاستدعاه عمر وضربه حتى تاب وأقلع عما كان يفكر فيه ويسأل عنه .

وشيء آخر هو وجود تشكي وتلمل من أناس من أهل الكوفة يشكون أمراءهم من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعمر لا يولي على المسلمين إلا الصالحين أمثال أبي عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ، وأمثال المبشرين بالجنة وهم أصحاب ثقة

ورضا عند المسلمين ، ومع ذلك يقولون : أميرك يا عمر فعل بنا
كذا وفعل كذا ، حتى شكوا سعدًا بأنه لا يحسن الصلاة.

(د) في خلافة عثمان رضي الله عنه :

اتسعت بلاد الإسلام و كثر أهله ، فكانت الجيوش المجاهدة
لا تمتل إلا جزءًا قليلاً من المسلمين ، مما زاد الفراغ والانصراف إلى
الدنيا مع وجود النعمة بكثرة الغنائم التي كسبها المسلمون من
أعدائهم ، ووزعها عثمان على رعيته بسخاء ، وكذلك إعطاء عثمان
ثقتة لبعض أقاربه وتوليتهم على الأمصار ، وأيضًا سماحة عثمان
وليئه الزائد وحيأؤه المشهور ، كل ذلك كان من أسباب ظهور
بذور الخوارج التي بدأت نذر وجودهم باعتراض ذي الخويصرة
على النبي صلى الله عليه وسلم وتواريتهم في عهد الشيخين للأسباب المتقدمة .

وفي عهد عثمان رضي الله عنه ظهرت رؤوس الفتنة ، ونما زرعها فأثمر
أعظم فتنة أصابت هذه الأمة ، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه
الله- : «وأصل فتنة هذه الفتنة وأهم أسبابها أن بعض أهل العراق
أنكروا سيرة بعض أقارب عثمان فطعنوا في عثمان لذلك ، وكان
يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة إلا أنهم كانوا
يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم ويتنطعون في
الزهد والخشوع وغير ذلك»^(١). اهـ.

(١) فتح الباري: (١٢ / ٢٨٣).

وهؤلاء غير السبئية الذين يرون مذهب عبدالله بن سبأ ويتابعونه عليه، وإن كانوا قد اتركوا جميعاً في مقتل عثمان والتأليب عليه ، فإن امتداد هؤلاء هم الخوارج و امتداد أصحاب ابن سبأ هم الشيعة بفصائلها الغالية .

(هـ) **في خلافة علي رضي الله عنه :**

في عهد علي كان الجو أنسب لنهاء هذه البذور ، فالفتنة والاختلاف والحروب التي دارت بين المسلمين أنفسهم ، وادعاء كل فريق أنه على الحق ، كل هذا مدعاة لنشأة الأفكار المنحرفة والمناهج الزائغة والفرق الضالة .

وقد كان رؤاد الخوارج ممن كان يطلق عليهم القراء في جيش علي رضي الله عنه ، وكان أول بروزهم باستخفافهم به ومقاطعتهم لكلامه أثناء خطبه ، والرد عليه واعتراض قراراته إلى أن انتهوا إلى الانحياز عنه ، واستحلال دمه ودم معاوية ودماء أصحابها وجميع المسلمين، إلا من كان على رأيهم أو مات قبل حدوث الفتنة أيام عثمان .

والصحيح أنهم عارضوا فكرة التحكيم الذي كان يرجى منه جمع كلمة المسلمين ، فلما صدرت وثيقة التحكيم كانوا أشد إنكاراً لها واعتبروا علياً رضي الله عنه كافراً بقبول أصل التحكيم ، لأنه حكّم في كتاب الله الرجال ، وبذلك فارقوا عسكر علي وانحازوا إلى

النهران وقرروا الخروج على الجميع واستباحة دماء الجميع، لأن القادة كفار وأتباعهم مقرون لهم على الكفر فهم كفار .

المواجهة بينهم وبين علي عليه السلام :

من أخصر ما ذكر في ذلك وأصححه سندًا ما رواه ابن أبي شيبه في مصنفه قال:

حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سِيَاهٍ قَالَ : حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ : أَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ ، قَالَ : قُلْتُ : فِيْمَ فَارَقُوهُ ، وَفِيْمَ اسْتَحْلَوْهُ ، وَفِيْمَ دَعَاهُمْ ، وَفِيْمَ فَارَقُوهُ ، ثُمَّ اسْتَحَلَّ دِمَاءَهُمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَمَّا اسْتَحَرَ الْقَتْلَ فِي أَهْلِ الشَّامِ بِصِفِّينَ ، اعْتَصَمَ مُعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ بِجَبَلٍ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : أَرْسِلْ إِلَى عَلِيٍّ بِالْمُصْحَفِ ، فَلَا وَاللَّهِ لَا يَرُدُّهُ عَلَيْكَ ، قَالَ : فَجَاءَ بِهِ رَجُلٌ يَحْمِلُهُ يُنَادِي : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ^(١) قَالَ : فَقَالَ عَلِيٌّ : نَعَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ ، أَنَا أَوْلَى بِهِ مِنْكُمْ .

قَالَ : فَجَاءَتِ الْحَوَارِجُ ، وَكُنَّا نُسَمِّيهِمْ يَوْمَئِذٍ الْقُرَاءَ ، قَالَ : فَجَاؤُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا نَمْشِي إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ

(١) آل عمران : ٢٣ .

حَنِيفٍ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا ، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَجَاءَ عُمَرُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ ؟ قَالَ : «بَلَى» ، قَالَ : أَلَيْسَ قِتَالَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : «بَلَى» ، قَالَ : فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَمَا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟ فَقَالَ : «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا» .

قَالَ : فَاذْطَلَقَ عُمَرُ وَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا ، حَتَّى أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، قَالَ : أَلَيْسَ قِتَالَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَمَا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟ فَقَالَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا .

قَالَ : فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْفَتْحِ ، فَأُرْسِلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ فَتَحَ هُوَ ؟ قَالَ : «نَعَمْ» ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ .

فَقَالَ عَلِيٌّ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا فَتَحَ ، فَقَبِلَ عَلِيٌّ الْقَضِيَّةَ وَرَجَعَ وَرَجَعَ النَّاسُ .

ثُمَّ إِيَّهِمْ خَرَجُوا بِحُرُورَاءَ ، أَوْلَيْكَ الْعِصَابَةُ مِنَ الْخَوَارِجِ ،
بُضْعَةَ عَشْرٍ أَلْفًا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يُنَاشِدُهُمُ اللَّهُ فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، فَأَتَاهُمْ
صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ فَنَاشِدُهُمُ اللَّهُ ، وَقَالَ : عَلَامَ تُقَاتِلُونَ
حَلِيفَتِكُمْ؟ قَالُوا : نَخَافُ الْفِتْنَةَ ، قَالَ : فَلَا تَعَجِّلُوا ضَلَالَةَ الْعَامِ
مَخَافَةَ فِتْنَةِ عَامِ قَابِلٍ ، فَرَجَعُوا فَقَالُوا : نَسِيرُ عَلَى نَاحِيَّتِنَا ، فَإِنْ عَلِيٌّ
قَبِلَ الْقَضِيَّةَ ، قَاتَلْنَا عَلَى مَا قَاتَلْنَاهُمْ يَوْمَ صِفِّينَ ، وَإِنْ نَقَضَهَا قَاتَلْنَا
مَعَهُ .

فَسَارُوا حَتَّى بَلَغُوا النَّهْرَوَانَ فَافْتَرَقَتْ مِنْهُمْ فِرْقَةٌ ، فَجَعَلُوا
يَهْدُونَ النَّاسَ قِتْلًا ، فَقَالَ أَصْحَابُهُمْ : وَيَلِكُمْ مَا عَلَى هَذَا فَارَقْنَا
عَلِيًّا ، فَبَلَغَ عَلِيًّا أَمْرَهُمْ فَقَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ ، فَقَالَ : مَا تَرُونَ
أَتَسِيرُونَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ أَمْ تَرْجِعُونَ إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَلَفُوا إِلَى
ذَرَارِيكُمْ؟ فَقَالُوا : لَا بَلْ تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ ، فَذَكَرَ أَمْرَهُمْ ، فَحَدَّثَ
عَنْهُمْ مَا قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ فِرْقَةً تَخْرُجُ عِنْدَ اخْتِلَافٍ مِنْ
النَّاسِ تَقْتُلُهُمْ أَقْرَبُ الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ ، عَلَامَتُهُمْ رَجُلٌ فِيهِمْ يَدُهُ
كَتْدِي الْمُرَاةِ» .

فَسَارُوا حَتَّى التَّقُوا بِالنَّهْرَوَانِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ،
فَجَعَلَتْ حَيْلٌ عَلِيٌّ لَا تَقُومُ هُمْ ، فَقَامَ عَلِيٌّ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ
إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ لِي فَوَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَا أَجْرِيكُمْ بِهِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ
لِللَّهِ فَلَا يَكُنْ هَذَا قِتَالَكُمْ ، فَحَمَلَ النَّاسَ حَمَلَةً وَاحِدَةً شَدِيدَةً ،

فَانْجَلَتِ الْحَيْلُ عَنْهُمْ وَهُمْ مُكْبِتُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، فَقَالَ عَلِيٌّ :
اطْلُبُوا الرَّجُلَ فِيهِمْ ، قَالَ : فَطَلَبَ النَّاسُ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، حَتَّى قَالَ
بَعْضُهُمْ : غَرَّرْنَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ مِنْ إِخْوَانِنَا حَتَّى قَتَلْنَاهُمْ ، فَدَمَعَتْ
عَيْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : فَدَعَا بِدَائِيهِ فَرَكِبَهَا فَاَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى وَهْدَةً فِيهَا
قَتَلَى ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَجَعَلَ يَجْرُ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى وَجَدَ الرَّجُلَ
تَحْتَهُمْ ، فَاجْتَرَّوهُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَفَرِحَ النَّاسُ وَرَجَعُوا ،
وَقَالَ عَلِيٌّ : لَا أَعْزُوا الْعَامَ ، وَرَجَعَ إِلَى الْكُوفَةِ وَقَتَلَ ، وَاسْتُخْلِفَ
حَسَنٌ ، فَسَارَ بِسِيرَةِ أَبِيهِ ، ثُمَّ بَعَثَ بِالْبَيْعَةِ إِلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ جَمِيعًا^(١).

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ج ٥، ص ٣١٧، ٣١٩.

الفصل الثاني

الأحاديث الثابتة

عن رسول الله ﷺ في الخوارج

في هذا الفصل سوف نورد الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ

في شأن الخوارج .

الحديث الأول : عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ هُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١).

وهذا الحديث رواه مسلم بهذا النحو، فالرسول صلى الله عليه وسلم يخبر أنه سيخرج في الأمة أقوام - وهم الخوارج - كثيرون وشديدون في قراءة القرآن وفي الصيام ، وفي الصلاة ، وأنهم يتعلقون من القرآن بأشياء يحسبون أنها لهم وهي عليهم . وقوله : « لا تجاوز صلاتهم تراقيهم » ، وكما ورد أيضاً : « لا يجاوز القرآن تراقيهم أو حلوقهم ، ولا يجاوز إيمانهم حلوقهم » ، وهذه العبارات كلها تفيد أحد معنيين : إما أن أقوالهم خالية من الإخلاص ، وليست صادرة من قلوبهم ، وبالتالي فهي مجرد كلام من الألسنة ، وهذا ليس له وزن عند الله .

(١) رواه مسلم: كتاب الزكاة رقم ١٠٦٦ .

أو أن المقصود هو كلا الأمرين ، هذا بالنسبة للصلاة وللصيام وللشهادة ، أما قراءة القرآن فيزاد عليها بأنه لا يجاوز حلوقهم ولا تراقيهم ، بمعنى أنهم لا يفقهون فيه شيئاً لا يصل إلى قلوبهم التي هي موضع الفقه في الدين ، فلا يفقهون القرآن ، فقول النبي ﷺ : «يمرقون من الدين أو من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» أي يخرجون ويتجاوزون ويبعدون عن الإسلام ، والسهم معروف هو ما يرمى به ، والرمية هي الشيء المرمي ، أي الصيد ، يعني أنه يأتي الصياد القوي بالسهم والوتر القوي فيرمي به هذا الصيد ، فمن شدته يتجاوز الصيد ويخرج بعيداً لا يحمل منه شيئاً ، لا شعراً ولا لحماً ، ولا فرثاً ولا دمًا ، ولا شيء من شدة مروقه. فيشبه النبي ﷺ خروجهم من الإسلام ، وعدم أخذهم شيئاً منه بمروق السهم الذي ينفذ في الرمية ، ويخرج صافياً ليس فيه من آثار هذه الرمية شيئاً من الصيد.

الحديث الثاني : وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ وصف لنا ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء ، يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم و أشار إلى حلقة خلق من أبغض خلق الله إليه^(١) إلخ ، فعندما قال علي ﷺ : «لأعرف صفتهم في هؤلاء» يخاطب أصحابه ويشير إلى الخوارج .

(١) الجامع : ١٠ ، ص ٨٠ مسلم نفس الموضع .

الحديث الثالث : وعنه عليه السلام قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»^(١).

وعلي عليه السلام كثرت الأحاديث عنه ، لأنه هو الذي ابتلي بهم ، وهو الذي واجههم ، ولذا كان أحرص على معرفة هذه الأحاديث ونشرها من سواه ممن لم يبتل بهم .

الحديث الرابع : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «يخرج في هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتبارى في الفوقه هل علق بها من الدم شيء»^(٢) أي أنهم يخرجون خروجاً كاملاً ، وأنه لا يبقى معهم من الإسلام شيء ، كما أن السهم الذي رمي به ذلك الصيد يخرج نظيفاً ، ليس عليه من آثار الرمي شيء .

وفي رواية من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

(١) البخاري: ٨٦/٩ فضائل القرآن و الأنبياء و استتابة المرتدين، ومسلم ١٠٦٦ الزكاة الجامع ٨٢/١٠ .
(٢) رواه البخاري برقم ٦٥٣٢ .

الحديث الخامس : قال أبو سعيد الخدري : بعث علي عليه السلام وهو باليمن بذهبية في تربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر الأقرع بن حابس الحنظلي وعيينة بن بدر الفزاري وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نهبان قال فغضبت قريش فقالوا: أيعطي صنديد نجد ويدعنا؟^(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم فجاء رجل كثر اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتئ الجبين مخلوق الرأس ، فقال : اتق الله يا محمد . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن يطع الله إن عصيته؟ أفيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنونني؟» قال : ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن من ضئضيء هذا قومًا يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٢).

الحديث السادس : حديث أبي سعيد وأنس بن مالك رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ قَوْمٌ

(١) وهذا غضب واستياء من نوع آخر حصل ، ولكنهم لم يتصرفوا بموجه بشيء ، فالمهاجرون والأنصار يعرفون قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوقنون بعدله وحكمته ، وأنه يعطي لصالح الإسلام ، ويمنع لصالح الإسلام ، لكن انظر إلى من لا يفقه في الدين شيئاً ، قالوا يعطيه صنديد أهل نجد ويدعنا .

(٢) أخرجه البخاري: ٤ / ١٥٨١ برقم ٤٠٩٤ .

يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسَيِّئُونَ الْفِعْلَ وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ
يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَا يَرِجْعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ
عَلَى فُوقِهِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتْلُوهُ يَدْعُونَ إِلَى
كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ». قَالُوا:
يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا سَيِّئَهُمْ قَالَ : «التَّحْلِيْقُ»^(١) أي أنهم يخلقون
رؤوسهم.

الحديث السابع : حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - قَوْمٌ
يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ
السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»^(٢).

الحديث الثامن : حديث عبدالله بن أبي أوفى قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (الخوارج كلاب النار)^(٣).

الحديث التاسع : حديث أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه أحد
الصحابة المشهورين أنه رأى رؤوساً منصوبة^(٤) على درج مسجد

(١) أبو داود _ كتاب الخوارج ٤ / ٢٤٣ رقم ٤٧٦٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود
٢٤٣/٤ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة باب الخوارج شر الخلق والخليقة برقم (١٠٦٧).

(٣) صحيح ابن ماجه ١ / ٦١ برقم ١٧٣ .

(٤) من رؤوس الخوارج قتلوهم وأتوا بها إلى الخليفة ، فأمر بنصبها على طريق الناس .

دمشق فقال أبو أمامة : كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه^(١) ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى آخر الآية .
 فقيل لأبي أمامة : «أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال : لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً حتى عدّ سبعا ما حدثتكموه»^(٢).

الحديث العاشر : حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه : عن أبي حفص سعيد بن جهمان أنه سمع عبد الله بن أبي أوفى وهم يقاتلون الخوارج وكان غلام له قد لحق بالخوارج^(٣) من الشق الآخر^(٤) فنادينهاه : يا فيروز يا فيروز هذا عبد الله بن أبي أوفى، فقال : نعم الرجل لو هاجر، قال عبد الله : ما يقول عدو الله؟ فقيل له : يقول : نعم الرجل لو هاجر، فقال : أهجرة بعد هجرتي مع رسول الله ﷺ؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «طوبى لمن قتلهم وقتلوه»^(٥) .

-
- (١) أي الناس الذين قتلوا في حربهم خير الناس .
 (٢) الترمذي ٥ / ٢٢٦ برقم (٣٠٠٠) وقال الترمذي حديث حسن و حسنه الألباني في (المشكاة) : ج ٢ ، ص ١٠٥٥ .
 (٣) أي كان لعبد الله بن أبي أوفى عبد فأبق منه والتحق بالخوارج .
 (٤) أي أنه كان في جهة والعبد مع الخوارج في جهة أخرى .
 (٥) الإمام أحمد في مسنده ٤ / ٣٨٢ برقم ١٩٤٣٣ ، وحسنه الألباني في تحريجه ظلال الجنة رقم ٩٠٦ .

الحديث الحادي عشر : حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في قصة ذي الخويصرة إلى أن قال: فقال عمر: يا رسول الله أفلا نقتله؟ قال : «لا، دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية»^(١).

الحديث الثاني عشر : حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قال : ذُكِرَ لِي أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ -وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ- : «إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدُأُونَ، يَعْنِي يُعْجِبُونَ النَّاسَ وَتُعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢).

الحديث الثالث عشر : حديث أبي بكرة رضي الله عنه: عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه أن النبي ﷺ مر برجل ساجد وهو منطلق إلى الصلاة فلما قضى الصلاة ورجع إليه وهو ساجد^(٣)، قال ثم قال النبي ﷺ : «من يقتل هذا؟» فقام رجل فحسر عن ذراعيه واخترط سيفه وهزه ثم قال يا نبي الله بأبي أنت وأمي كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمدٌ عبده ورسوله؟ فقال رسول الله ﷺ : «من

(١) مسند أحمد ٢ / ٢١٩ برقم ٧٠٣٨ قال الألباني: إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات،

ابن أبي عاصم ٤٤٠.

(٢) رواه أحمد ٣ / ١٩٨ برقم ١٢٩٩٥

(٣) أي كان ساجداً قبل أن يذهب الرسول إلى الصلاة وصلّى النبي ﷺ وأتمّ صلاته، ورجع وهو ساجد في سجدة تلك أو في سجدة أخرى، المهم أنه لا يزال ساجداً.

يقتل هذا؟» فقام رجل فقال أنا فحسر عن ذراعيه واخترط سيفه حتى رعدت يده فقال : يا رسول الله كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمدًا عبده ورسوله؟ فقال رسول الله ﷺ : «أما والذي نفسي بيده لو قتلتموه لكان أول فتنة وآخرها»^(١).

(١) رواه أحمد في المسند ٥ / ٤٢ برقم ٢٠٤٤٨ ، وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة) رقم ٢٤٩٥ . هذا وتوجد روايات أخرى أقل صحة من هذه الرواية ، فيها أنه لما أقبل عليه هذا الرجل وكانوا جالسين فمر بهم ، فقال النبي ﷺ : «إني لأرى رجلاً في وجهه سفعة شيطان ، فلما دنا منهم ، قال : أشدك الله أنت حدثت نفسك بأنه ليس أحد من هؤلاء خير منك؟ قال : اللهم نعم» . لاحظوا أنه وصل إلى ما لم يصل إليه أحد ، وأنه خير من هؤلاء الحاضرين جميعاً لا يوجد أحد خير منه ، فمن هنا أتى هذا الرجل وغيره ، فالرسول أراد أن يقتل ، ولكن أراد الله شيئاً آخر ؛ لأنه لو قتل لانتهدت الفتنة ، والله في وجود الفتنة حكمة .

الفصل الثالث

تفصيل الصفات التي وصفهم بها
النبي ﷺ في الأحاديث المتقدمة

في هذا الفصل نستعرض بعض الصفات التي وردت في هذه

الأحاديث ووصفهم بها النبي ﷺ :

أولاً : سَمَتْهُمْ^(١) الظاهرة الخشونة والغلظة وسوء الخلق، وهذه الصفات جاءت في قصة رائدهم الذي اعترض على النبي ﷺ، فقد وصفه بأنه : غائر العينين ناتئ الجبين كث اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس . هكذا في البخاري و مسلم^(٢) و في رواية أخرى في البخاري و مسلم أيضاً أنه كان مشمر الإزار . فهذه الخشونة .

وأما الغلظة والفظاظة فمأخوذة من اعتراضه على النبي ﷺ ، فالرسول ﷺ يقسم ولا يريد من ذلك إلا أمراً ينصر به الإسلام والمسلمين فقال : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، والنبي ﷺ يريد أن يتألف هؤلاء الصناديد سادة القبائل ليكونوا رداءً وعوداً للإسلام ، فيعترض عليه ويقول : اعدل دون تأدب مع من يخاطب ، فمع من يتخاطب ؟ مع رسول الله ﷺ . أي غلظة أشد من هذه الغلظة؟ أي فظاظة وأي وقاحة أكثر من هذه الوقاحة التي يواجه بها رسول الله ﷺ؟! وهذا ما حصل عند اعتراضهم على علي عليه السلام وسوء

(١) سَمَتْهُمْ أي : شكلهم وظاهرهم .

(٢) تَقَدَّمَ تخريجيه .

أدبهم معه ، أي هذا الكلام مع رسول الله ﷺ ثم بعد ذلك أتباعه وإخوانه يأتون إلى علي بن أبي طالب ويقولون : لا حكم إلا لله ، هم يعرفون أنه قَبِلَ التحكيم لمصلحة المسلمين ولحقن دماء المسلمين ، وهو متأول في ذلك حتى لو كان مخطئاً ، فيأتونه ويعترضون عليه ، قائلين : لا حكم إلا لله . ولكن من الذي يفهمنا ويعرفنا ما هو حكم الله؟ الحكم لمن؟ والرجال ما دورهم؟ أليس دورهم أن يقولوا هذا هو حكم الله حسب فهمنا واجتهادنا؟

فالحاصل أنهم في غلظة وجفاء وعدم احترام لأهل الخير والفضل ، وهكذا وصف عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الخوارج الذين خرجوا على علي عليه السلام فقال: وأتيت قوماً لم أرقوماً قط أشد اجتهاداً منهم مسهمة وجوههم من السهر كأن أيديهم وركبهم ثفن^(١) عليهم قمص مرخصة^(٢).

ثانياً : حدائة أسنانهم وخفة عقولهم و سطحية تفكيرهم وقصر نظرهم ، ففي الحديث إنهم : «حدائة الأسنان سفهاء الأحلام»، قال النووي: «صغار الأسنان صغار العقول»^(٣) بمعنى أنهم لا يفهمون ، وقال ابن حجر: «والمعنى أن عقولهم رديئة»^(٤) ومن

(١) أي المكان الغليظ الذي في أعطاف أرجل وأيدي الإبل .

(٢) سنن البيهقي الكبرى ٨ / ١٧٩ برقم ١٦٥١٧

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧ / ١٦٩ .

(٤) فتح الباري، ١٢ / ٢٨٧ .

ذلك أن القرآن لا يجاوز تراقيهم : بمعنى لا يفقهونه ، يقول النووي: «معناه أن قومًا ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم وليس ذلك هو المطلوب بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب»^(١) هذا هو المفروض وليس مجرد القراءة ، فالمراد من القرآن أن يصل إلى القلب ، فيستفيد منه القلب ، فيعقل ويفقه ويفهم: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢) قال ابن حجر: (قلت وهو مثل قوله : «لا يجاوز إيمانهم حناجرهم أي ينطقون بالشهادتين ولا يعرفونها بقلوبهم»)^(٣).

قلت: ومن هنا اعتبروا حسنات علي ﷺ سيئات، ولم يدركوا العواقب التي كان يدركها ويسعى لتحقيقها ، والحسنات التي أرادها علي هي جمع كلمة المسلمين ، أي الحفاظ على وحدتهم وصيانة دمائهم وأرواحهم ، فاعتبروا أن هذه من السيئات ، وبها حملوا عليه أيضًا لما حصل في معركة الجمل أن عليًا وجيشه هزم جيش طلحة والزبير ، فعلي قال لهم : كفوا عن الجريح لا تجهزوا عليه ، والمدبر لا تلحقوه ، والأسير لا يوجد أسير ولا يوجد غنيمة تأخذونها ، قالوا : لماذا يفعل هذا إذن ؟ الجواب : أن هؤلاء

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ١٠٥.

(٢) ص: ٢٩.

(٣) الفتح: ١٢/ ٢٩٣.

مسلمون حصلت بينهم هذه الفتنة ، فهل ننزلهم منزلة الكفار الأصليين المشركين ونسبي ذراريهم ؟ الجواب: لا؟! .

لذلك قال لهم علي عليه السلام وقال لهم ابن عباس فيما بعد : أنتم تريدون السبي؟ تريدون أن تسبوا نساءهم؟ عائشة رضي الله عنها وسطهم ، من منكم يريد أن تكون في سهمه ، تكون جارية أمة له وهي أم المؤمنين؟! فمن خفة عقولهم ، وعدم اعتبارهم للمصير ، وقصر نظرهم إلى المستقبل ، وعدم إدراكهم لمآلات الأشياء ونتائج الأمور كانوا يفعلون هذا الأمر .

وبهذا استطاع المهلب بن أبي صفرة أن يوقع بينهم الاختلاف وأن يشغلهم ببعضهم البعض ، وهذا قائد كبير بلوا به بلاءٌ شديدًا ، لأنهم قوم أولو بأس شديد وأولو جرأة . يجبون الموت كما يجب غيرهم الحياة ، لأنهم أقنعوا أنفسهم أن هذه الحياة ليس فيها فائدة ، ليس فيها إلا شهادة وجنة ، ولهذا يسعون للموت بأي وسيلة .

طبعًا الجنود الذين يرسلهم إليهم الخلفاء ليسوا بهذه الدرجة من التهور ، فلا يستطيعون أن يقفوا أمامهم ، لكن المهلب بن أبي صفرة كان محنكًا شجاعًا سياسيًا داهية ، فاستطاع أن يهزمهم ويلاحقهم مسافات طويلة جدًا ، وفي معارك طويلة دامت سنين ، وهو قاهرهم ومشدد عليهم ، وكان من أساليبه أنه أدرك أنهم بلا عقول ، وأن نظرهم قصير ، وأنه ليس عندهم تأمل ولا تدبر ،

لا يعرفون كيف يدبرون أمورهم ، ولا يعرفون كيف ينظمون صفوفهم ، ولا يعرفون كيف يحافظون على أنفسهم من الاختراق ، ولذلك إذا رأهم مجتمعين أرسل واحداً من قبلة يسألهم في مسألة عن أمر ما ، فدخل مباشرة ، لأنه لا يوجد تمايز ، فهم سهل اختراقهم ، يدخل على شيخهم بل قائدهم ، لأنه لا يوجد مشايخ ولا علماء ، فقائدهم هو المفتي وهو القاضي وهو كل شيء ، فدخل عليه سائلاً : ما تقول في كذا وكذا؟ فجاءه بحكم في المسألة المشكلة ، فقام أحدهم معترضاً عليه قائلاً هذا الذي تقوله غير صحيح . فقال: بل صحيح . فافترقوا فجلسوا يتقاتلون بينهم .

وهذه قصة ذكرها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أن رجلاً حداداً من الأزارقة - وهي فرقة من فرق الخوارج - كان يعمل نصالاً مسمومة^(١)، فيرمى بها أصحاب المهلب، فرفع ذلك إلى المهلب فقال: أنا أكفيكموه إن شاء الله ، فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطري^(٢) فقال: ألق هذا الكتاب في العسكر والدراهم واحذر على نفسك - وكان الحداد يقال له أبزى - فمضى الرجل، وكان في الكتاب: أما بعد، فإن نصالك قد وصلت إلي، وقد وجهت إليك بألف درهم، فاقبضها وزدنا من هذه النصال، فوقع

(١) النصال المسمومة التي توضع في أطراف السهام ؛ لرميها على الجنود المعادين .

(٢) قطري بن الفجاءة المازني رئيس الخوارج حينها .

الكتاب والدرهم إلى قطري. فدعا بأبزي، فقال: ما هذا الكتاب قال: لأدري، قال: فهذه الدراهم قال: ما أعلم علمها، فأمر به فقتل^(١). فوقعت بذلك فتنة عظيمة بينهم وبدأت الانشقاقات وخسروا هذا الصانع الذي كان يمدهم بالسلاح الفتاك .

ثالثاً : مبالغتهم في التعبد والتعمق والغلو في ذلك:

ليس الغلو بالصلاة والصيام والقيام ، ولكن بالزيادة على الحد مع الإعجاب بهذه الزيادة ، أفادت الأحاديث أن المرء المعتدل السائر على النهج المستقيم يحقر عبادته مقابل عبادتهم، فقد قال النبي ﷺ مخاطباً الصحابة: «تحقرون صلاتكم عند صلاتهم وصيامكم عند صيامهم وقراءتكم عند قراءتهم»^(٢). كما ثبت أنهم : «يتعبدون ويتدينون حتى يعجبوكم وتعجبهم أنفسهم» ثم رتب على ذلك «أنهم يمرقون من الدين»^(٣)، فالصحابة أكثر الناس زهداً ، وأكثر الناس عبادة ، وأكثر الناس خيراً ، الخير المعتدل الذي يرضي الله عز وجل ، قال هذه عبادتكم وزهدكم وصيامكم وصلاتكم وقراءتكم تحقرونها عندهم ، فالمرء حين يراهم يقول : نحن مقصرون ، لما ثبت

(١) شرح نهج البلاغة (٤ / ١٩٦ ، ١٩٧) ، والكامل في اللغة والأدب ٣ / ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢) تقدم تحريجه .

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة: (٢ / ٤٦١) ، وصححه الألباني في (ظلال الجنة) ، رقم ٩٤٥ .

أنهم يتعبدون ويتدينون حتى يعجب بهم من يراهم وهم يببالغون في العبادة وتعجبهم أنفسهم لما هم عليه ، يقولون : لا أحد مثلنا ، ثم رتب على ذلك أنهم يمرقون من الدين ، فإذا أعجبوا بأنفسهم إلى هذه الدرجة أصبحوا وقد خرجوا من الدين .

ولهذا لما سألت عمرة^(١) عائشة رضي الله عنها: «ما بال إحدانا تقضي صيام أيام الحيض ولا تقضي الصلاة فقالت : أحرورية أنت»^(٢) ، كأنها تقول لها: ما هذه الأسئلة التي تسألينها ؟ ما هذا التنطع ؟ أين الوثوق بما جاء عن الرسول ﷺ فقد كان ذلك يصيبنا على عهد رسول الله ، فتؤمر بقضاء الصوم ولا تؤمر بقضاء الصلاة ، لكن الخوارج هم الذين لا يرضون بهذا .

وقال في الفتح : ووصف عاصم^(٣) أصحاب نجدة الحروري بأنهم يصومون النهار ويقومون الليل ويأخذون الصدقات على السنة^(٤)، عندهم عبادة عندهم جلد ، ولكن هذا كله كما قلت صاحبه ما يفسده ، وهو أنهم يعجبون بهذا الذي يفعلون ، فيهدم عليهم ذلك الذي يبنونه .

(١) صاحبة عائشة رضي الله عنها وتلميذتها .

(٢) رواه البخاري: ١ / ١٢٢ برقم ٣١٥، مسلم ١ / ٢٦٥ برقم ٣٣٥

(٣) أحد رواة حديث: «تحقرون أعمالكم...»

(٤) الفتح: ١٢ / ٢٨٩ .

رابعاً : إعجابهم برأيهم :

الإعجاب بالرأي من المهلكات ، وهو الذي حملهم على الغلو في أحقية ما لديهم وإبطال ما عليه الآخرون وبذلك كفروا جماهير المسلمين «يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه»^(١)، وهو أيضا الذي حمل رائدهم على الإنكار على النبي ﷺ بقوله للنبي ﷺ : «اعدل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله» ! إنه معجب بنفسه يرى أنه قد فهم كل شيء وعرف كل شيء ، وحملهم ثانيًا على الخروج على عثمان ، وكانوا يسمون القراء وأهل الزهد والعلم والعبادة وقراءة القرآن ، ولكنهم لما غلوا وصوروا لهم أنفسهم بأنهم أحسن الناس ، بدأوا يعترضون على أهل الخير فاعترضوا على عثمان ، وحملهم ثالثًا على الإنكار على علي والاعتراض عليه، وقد وصفهم النبي ﷺ بذلك كما مر: «يتعبدون ويتدينون حتى يعجبوكم و تعجبهم أنفسهم»^(٢). ومن هذا المنطلق قال غلام عبدالله بن أبي أوفى لسيدة الصحابي الجليل «نعم الرجل لو هاجر»^(٣)، هذ الصحابي الذي هاجر مع النبي ﷺ وجاهد معه وله الفضل والسبق عنده ، وهذا الغلام قد سُمم عقله بهذه الأفكار ولوّث فطرته ، يقول له : نعم الرجل لو هاجر

(١) تقدم تحريجه.

(٢) تقدم تحريجه.

(٣) تقدم تحريجه.

إلينا ، أي لو أنه صار معنا لكان نعم الرجل ، لكن ما دام أنه مع الجماعة الأخرى ، فهذا لا فائدة منه .

خامساً : تطاولهم على أهل العلم والفضل :

هذه من المميزات التي اشتهروا بها ، وهي أيضاً من الأسباب التي حملتهم على الضلال وعلى المروق من الإسلام ، نتيجة لإعجابهم بأنفسهم و لجهلهم المركب فإنهم صاروا يتطاولون على أهل العلم والفضل نتيجة لإعجابهم بأنفسهم و لجهلهم المركب ، فرائدهم يعترض على النبي ﷺ ، أقصد برائدهم الذي اعترض على النبي ﷺ واختلف في اسمه، قيل: ذي الخويصرة، وقيل: حرقوص التميمي ، وقيل غير ذلك المهم ذاك الأعرابي الذي جاء وصفه قام يعترض على النبي ﷺ ويأمره بالعدل ، بناءً على أنه جار في قسمته ، وبذلك التسويغ قتلوا عثمان ؓ قاموا إليه فقتلوه ، لأنه في نظرهم خرج عن سنة الشيخين حفاظاً على المنهج كما يقولون ، وبه اعترضوا على علي وكفروه وخرجوا عليه .

ويظهر ذلك جلياً من سياق قصة ابن عباس في مناظرتهم ، وهي قصة صحيحة رواها الإمام أحمد والنسائي في خصائص علي وغيرها ، فهي قصة طويلة تأتي بموضع الشاهد منها : وفيه ذكر مجيئه إليهم حتى وصل إليهم فقالوا: ما جاء بك ؟ قال : أتيتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن فهم أعلم بتأويله منكم ،

وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون وأبلغهم ما تقولون فقالت طائفة منهم : لا تخاصموا قريشاً فإن الله عز وجل يقول : «بل هم قوم خصمون»^(١)، قال فانتحى لي نفر منهم^(٢)، فقلت : ما نعمتكم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه ؟ قالوا ثلاث ، قلت : ما هن ؟ قالوا : أما إحداهن فإنه حكّم الرجال في أمر الله وقال الله : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ما شأن الرجال والحكم^(٣) ، قلت : هذه واحدة قالوا : وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب سباهم ولم يغنم ، إن كانوا كفاراً لقد حل سبيهم ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتالهم ، قلت هذه اثنتان ، فما الثالثة وذكر كلمة معناها قالوا : محى نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .

(١) انظر كيف الاعتراض والاحتقار ، يعني أن ابن عباس من قريش والله قد وصف قريشاً بأنهم قوم خصمون فاتركوه لا تخاصموا معه ، هم غير قادرين على مجادلة ابن عباس ومناظرته ، يريدون أن يتهربوا ، وهذا هو شأن أهل الباطل دائماً ، لا يناقشونك ولا يناظرونك ، وإذا ناظرك أحدهم ناظرك بعيداً عن أتباعه حتى إذا جاء الحق على يدك لا يتأثرون به ؛ فهذا هم يبحثون عن وسيلة وعن طريق كي يردوا الحق بطريقة مهذبة ، لا يقولون نحن غير قادرين على الجدل وعلى النقاش ، فهؤلاء قالوا لا تجادلوهم ، إذن ما الحجة وما العذر ؟ قال الله : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ﴾ الله وصفهم بأنهم أهل الخصومات ، فأنتم أحسن منهم لا تجادلوهم ولا تناقشوهم .

(٢) أي قاموا ليجادلوه ، إما أنه اعتزاز بأنفسهم ، أو أنهم فعلاً ما زالوا يرون فيه شيئاً من الخير ، يريدون الخير .

(٣) هذه المصيبة الكبيرة التي فعلها علي ، هذه الجريمة التي كفرته وأخرجته من إمرة المؤمنين وجعلته أمير الكافرين وأيضاً ألغته من الإسلام كله في نظرهم .

فناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما وأقنعهم ، قال : أما قولكم حكم الرجال في أمر الله ، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم ، فأمر الله سبحانه وتعالى أن يحكموا فيه ، أرأيت قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾^(١) ، وكان من حكم الله أن صيره إلى الرجال يحكمون فيه ولو شاء يحكم فيه فجاز من حكم الرجال ، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، بل هذا في أفضل ، وفي المرأة وزوجها ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾^(٢) ، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة خرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قال لهم بالنسبة للسبي ، هب أنكم سيتم ، ففي نصيب من تكون عائشة رضي الله عنها ؟ من منكم يريد أن تكون عائشة أمة له والله يقول : ﴿ وَأَرْوِجُهُمْ ^(٣) أُمَّهَاتِهِمْ ﴾ فهل تصدق بالقرآن أو لا تصدق بالقرآن؟ كيف أمك تصير أمة لك ؟ قال والثالثة قالوا : نفى نفسه من إمارة المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين لا يوجد ثالث

(١) المائدة : ٩٥ .

(٢) النساء : ٣٥ .

(٣) الأحزاب : ٦ .

بينها ، أي أن يكون بدون إمارة ، إما أمير المؤمنين وإما أمير الكافرين ، فهذا ما أفصده ، أي كيف التطاول ، وكيف الكبرياء ، وكيف غمط أهل الفضل فضلهم .

وبعد هذه المناظرة رجع منهم ألفان وخرج سائرهم وكان عددهم ستة آلاف^(١) . هذه القصة ذكرها كما قلت أحمد والنسائي ونقلتها من كتاب (مناظرات أئمة السنة) يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «فهؤلاء أصل ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرا ثم يرتبون على الكفر أحكاما ابتدعوها»^(٢).

وهكذا المناهج الضالة ، المنحرفون والفرق الضالة الأخرى ، أول شيء يهتمون أئمة الهدى والخير بأنهم أهل ظلم ، وأنهم ليس عندهم عدل ، ثم يرتبون على هذا الظلم والجور والخروج عن العدل الضلال ، ويرتبون على الضلال أحكاما أخرى من التفسيق والتبديع ومن التكفير ومن استحلال الدماء و الأموال^(٣)... إلخ .

(١) رواه النسائي: ٥ / ١٦٥-١٦٦ برقم ٨٥٧٥ وانظر: مناظرات أئمة السلف ص ٩٥ وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٧).

(٣) وطبعاً الناس يتفاوتون ، فليس كلهم يكفرون ، فغلوهم في إحقاق مالديهم وإبطال ماعليه الآخرون .

وبذلك كفروا جماهير المسلمين ، قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى- :
 «الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع أنهم يكفرون بالذنوب
 والسيئات ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين
 وأموالهم وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان^(١)،
 وكذلك يقول جمهور الرافضة وجمهور المعتزلة والجهمية وطائفة من
 غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقهاء^(٢) ومتكلميهم فهذا أصل البدع
 التي ثبت بنص سنة رسول الله ﷺ وإجماع السلف أنها بدعة وهو
 جعل العفو سيئة^(٣) وجعل السيئة كفرًا^{(٤)(٥)} .

قلت: وقد يعدل الأمر في بعض الأحيان حسب الأماكن
 وحسب الأزمنة ، فيكون العفو سيئة والسيئة بدعة وضلالة وإخراج
 من دائرة السنة والجماعة .

(١) لا توجد دار إيمان إلا التي هم فيها ، وليس هناك جماعة على السنة إلا هم
 وحدهم ، والبقية كلهم جماعات ضلال وجماعات بدعة .

(٢) أي إن هذا الكلام لم يخص أهل البدع فقط ، حتى بعض الغلاة ممن يتسبون إلى
 أهل الفقه والحديث يشابهون ويشاركون الخوارج والرافضة والجهمية في هذه النظرة ،
 وفي ظلمهم للآخرين وإخراجهم بغير حق من دائرة السنة ومن الصراط المستقيم .

(٣) بمعنى الشيء المعفو عنه ، أي الشيء المرخص فيه .

(٤) أي لا عفو عنها .

(٥) مجموع الفتاوى : ١٩ / ٧٣ .

سادساً : ظاهريتهم المفترضة مع القرآن وإلغاء السنة:

حيث كفّروا الصحابة حملة السنة، فلم يبقَ بينهم وبين النبي ﷺ واسطة، وهذه من المصائب الكبيرة عندهم ، ومن الخذلان العظيم ، ليس عندهم فهم للدين وإنما يفهمون ظواهر النصوص وظواهر الآيات ، هذا شيء ثم بعد ذلك الذي يفسر القرآن هي السنة ، والسنة قد حالوا بينها وبين أنفسهم ، لأن الذي نقل السنة إليهم هم الصحابة فكفروا الصحابة ، فمن أين يأخذون السنة ، أيأخذونها عن قوم كفار؟ فيقطعون علاقتهم بالرسول ﷺ فتصور إنساناً جاهلاً وإنساناً سطحي التفكير وإنساناً لا يعتمد على السنة ويتعامل مع القرآن فقط بهذه العقلية ، فكيف يكون فهمه للقرآن؟ فهذه مصيبة كبيرة ، فهم حدثاء الأسنان لم تعركهم التجارب، ولم يتفنعوا بدروس الحياة وسفهاء الأحلام لا فهم ولا فقه: «ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١) ولا اعتماد على ما يفسر القرآن من السنة وآثار الصحابة فمن أين يفهم الدين؟!.

ليس من البلوى بأنك لا تدري وأنك لا تدري بأنك لا تدري!

إذا كنت لا تدري ولست كمن درى فكيف إذن تدري بأنك لا تدري!

(١) رواه البخاري في العلم: باب «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» ١ / ٣٩

برقم ٧١، ومسلم في الزكاة: باب النهي عن المسألة ٢ / ٧١٨ برقم ١٠٣٧.

يعني جهل وجهل وجهل ، والنتيجة :

أرى الجهل المركب شرءاء يزيد إذا تسربل بالغباء
فإن مُزجا بإعجاب وكبر فتلك إذن عناوين الشقاء

سابعاً: سوء استدلالهم بالقرآن :

وذلك من فروع الأصل السابق الذي هو الجهل المركب، فإن لجهلهم في حقيقة الأمر و ظنهم أنهم يعلمون كتاب الله، تولدت لديهم الجرأة على القول على الله بغير علم وحمل آياته على ما يشتهون، وهذا ما يشير إليه قوله عليه الصلاة و السلام : «يقروون القرآن يحسبون أنه لهم و هو عليهم»^(١) و قوله: «يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء»^(٢) وروى البخاري معلقاً: وكان ابن عُمَرَ يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللَّهِ وَقَالَ إِنَّهُمْ أَنْطَلَقُوا إِلَى آيَاتِ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ فَجَعَلُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وَكَاثَتُ الْبِدْعِ الْأُولَى مِثْلُ (بِدْعَةِ الْخَوَارِجِ) إِنَّهَا هِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ لَمْ يَقْصِدُوا مُعَارَضَتَهُ لَكِنْ فَهَمُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ فَظَنُّوا أَنَّهُ يُوجِبُ

(١) رواه مسلم ٧٤٨/٢ برقم ١٠٦٦

(٢) [أبو داود ٢٤٣/٤ برقم (٤٧٦٥)، والبيهقي في الكبرى (١٧١/٨) رقم ١٦٤٨٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم ٤٧٦٥.

(٣) رواه البخاري (٢٥٣٩/٦) معلقاً ووصله الطبري في تهذيب الآثار من طريق بكير بن عبد الله بن الأشج، وصحح الإسناد الحافظ في تعليق التعليق (٢٥٩/٥).

تَكْفِيرِ أَرْبَابِ الذُّنُوبِ ، إِذْ كَانَ الْمُؤْمِنُ هُوَ الْبَرَّ التَّقِيَّ . قَالُوا : فَمَنْ لَمْ
يَكُنْ بَرًّا تَقِيًّا فَهُوَ كَافِرٌ وَهُوَ مُحَلَّدٌ فِي النَّارِ . ثُمَّ قَالُوا : وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ
وَمَنْ وَالَاهُمَا لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ ، لِأَنَّهُمْ حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَكَانَتْ
بِدْعَتُهُمْ هَا مُقَدِّمَتَانِ . (الْوَاحِدَةُ) أَنَّ مَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ بِعَمَلٍ أَوْ
بِرَأْيٍ أَخْطَأَ فِيهِ فَهُوَ كَافِرٌ . (وَالثَّانِيَةُ) أَنَّ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَمَنْ وَالَاهُمَا
كَانُوا كَذَلِكَ ، وَلِهَذَا يَجِبُ الْإِحْتِرَازُ مِنْ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِالذُّنُوبِ
وَالْحَطَايَا فَإِنَّهُ أَوَّلُ بَدْعَةٍ ظَهَرَتْ فِي الْإِسْلَامِ فَكَفَّرَ أَهْلُهَا الْمُسْلِمِينَ
وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثٌ
صَحِيحَةٌ فِي ذَمِّهِمْ وَالْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ»^(١).

ثامناً : سلوكهم المنحرف بقتلهم أهل الإسلام وتركهم

أهل الأوثان :

وذلك في قوله ﷺ: «يقتلون أهل الإسلام و يتركون أهل
الأوثان» إنهم قد صارت لديهم قضية واحدة ، قضية الحفاظ على
تحكيم شرع الله ومعاقبة من خالفها. ومن الذي خالفها: (الخلفاء)
علي بن أبي طالب ، عثمان بن عفان ، وأتباعهم ثم بنو أمية فيما بعد
وبنو العباس في أول أمرهم ! إذن فليس لهم قضية الآن إلا أن
يقاتلوا الذين خالفوا كتاب الله وحكموا بسواه ويتركون بقية

(١) مجموع الفتاوى: (١٣/٣٠-٣١).

القضايا الأخرى ، لا يهتمون بها لذلك لم يكن عندهم الولاء والبراء على الوجه الشرعي الصحيح . الكفار من اليهود والنصارى ذميون أو غير ذميين هم أعداء وإن كنا لا نؤذيهم ولا نفعل بهم شيئاً ما داموا في ذمتنا وفي عهدنا ولكنهم أعداء ، وإذا لم يكن منا حرب عليهم فعلى الأقل ندعوهم ، نعمل على نشر الإسلام في أوساطهم ، وهم لا يفكرون كيف ينشرون الإسلام؟ كيف يدعون إلى الله؟ . لا يفكرون إلا كيف يكفرون جماعتهم ، وأن يصلوا إلى هدفهم الوحيد وهو محاربة الحكام وإزالتهم من طريق المسلمين فقط ، فلذلك انحرفت فطرتهم وتفكيرهم وأصبحوا يأتون بالعجائب من ذلك ما أخرج ابن أبي شيبة قال : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ الْوَاسِطِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ ، عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي حَبَابٍ يَسْطُورُ عَلَى الْخَوَارِجِ حَتَّى يُجِدُّوا حَدَّثًا ، فَمَرُّوا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ فَأَخَذُوهُ ، فَمَرَّ بَعْضُهُمْ عَلَى تَمْرَةٍ سَاقِطَةٍ مِنْ نَخْلَةٍ فَأَخَذَهَا فَأَلْفَاها فِي فِيهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : تَمْرَةٌ مُعَاهِدٍ ، فِيمَ اسْتَحْلَلْتَهَا فَأَلْفَاها مِنْ فِيهِ ، ثُمَّ مَرُّوا عَلَى خِنْزِيرٍ فَفَنَحَهُ بَعْضُهُمْ بِسَيْفِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : خِنْزِيرٌ مُعَاهِدٍ ، فِيمَ اسْتَحْلَلْتَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْكُمْ حُرْمَةً مِنْ هَذَا ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : أَنَا ، فَقَدَّمُوهُ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ أَنْ أَقِيدُونَا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ ، فَأَرْسَلُوا

إِلَيْهِ: وَكَيْفَ نُقِيدُكَ وَكُلُّنَا قَتَلَهُ ، قَالَ : أَوْكُلُّكُمْ قَتَلَهُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْطُورُوا عَلَيْهِمْ ، إِنْخ^(١).

وهنا قصة أيضًا مشابهة أو قريبة من ذلك تدل على أن الإنسان إذا أراد أن يسلم منهم ، لا يظهر أنه من أهل الإسلام ولا من أهل الدعوة وطلاب العلم ، ذكر المبردي في (الكامل) قال: «وحدث أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رفقة، فأحسوا الخوارج، فقال واصل لأهل الرفقة: إن هذا ليس من شأنكم، فاعتزلوا ودعوني وإياهم - وكانوا قد أشرفوا على العطب - فقالوا: شأنك. فخرج إليهم، فقالوا: ما أنت وأصحابك؟ قال: مشركون مستجبرون ليسمعوا كلام الله، ويفهموا حدوده. فقالوا: قد أجرناكم، قال: فعلمونا. فجعلوا يعلمونه أحكامهم، وجعل يقول: قد قبلت أنا ومن معي، قالوا: فامضوا مصاحبين^(٢)، فإنكم إخواننا! قال: ليس ذلك لكم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَةً﴾^(٣)، فأبلغونا مأمنا. فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذاك لكم، فساروا بجمعهم حتى بلغوهم المأمن^(٤)، فهذا هو الخسران العظيم الكبير نسأل الله العافية.

(١) المصنف: (٧ / ٥٥٤-٥٥٥) برقم ٣٧٨٩٣.

(٢) أي صحبتكم السلامة .

(٣) التوبة: ٦ .

(٤) الكامل: (٢ / ١٠٦).

تاسعاً : قولهم من قول خير البرية :

ومعناه كما قال الحافظ في الفتح: «ويحتمل أن يكون على ظاهره، والمراد القول الحسن في الظاهر وباطنه على خلاف ذلك، كقولهم لا حكم إلا لله في جواب علي كما سيأتي، وقد وقع في رواية طارق بن زياد عند الطبري قال خرجنا مع علي فذكر الحديث وفيه يخرج قوم يتكلمون كلمة الحق لا تجاوز حلوقهم وفي حديث أنس عن أبي سعيد عند أبي داود والطبراني: يحسنون القول ويسئون الفعل، ونحوه في حديث عبد الله بن عمر وعند أحمد وفي حديث مسلم عن علي يقولون الحق لا يجاوز هذا وأشار إلى حلقه» اهـ^(١).

وقولهم ذلك وخطابهم القوي المؤثر الحماسي المتحرق على تضييع الحق مما تسبب في انتشار فكرهم فيمن هم مثلهم في سطحية التفكير وقصور النظر والانسحاق وراء العواطف، فعندما يقولون لا حكم إلا لله، وعندما يقولون بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعندما يضحمون قول المخالفين، كل ذلك من القول الحسن الذي يثير العواطف ويشد العزائم و يجمع الناس حول المتخاطبين بذلك الخطاب.

عاشرًا : منزلتهم عند الله :

إن المقدمات الفاسدة لا تترتب عليها إلا نتائج سيئة، والبذور المرة السامة لا تُخرج عسلاً ولا تمرًا، وهكذا الخذلان البين والظاهر

(١) فتح: الباري (١٢/٢٨٧-٢٨٨).

في سوء التركيب وضعف البصيرة وقصر النظر وسوء الفهم واستشعار العلم مع فقدته في الحقيقة والغلو بأنواعه، كل ذلك قرائن للشقاء وعلامات للخسران، وإن ظهر في وقت من الأوقات أمور تعجب الناظر وتطرب السامع وتثلج صدر الغيور على الدين.

فعبادة القوم وزهدهم منقطع النظير، وحماهم الدافق، وحرقتهم الواضحة على الحق، وحزنهم الدائم على انتشار المنكر والفساد، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر الذي زاد عن حده وتجاوز ما أذن الله به، وصحبتهم للقرآن ولهجهم به، كل تلك الفضائل الظاهرة لم تنفعهم ولم تزدهم من الله إلا بعداً، لأنها ولدت فيهم الإعجاب والادلال على الله بما يعملون فحبطت تلك الأعمال واستحقوا الوصف بأنهم: «شر الخلق والخليقة، وشر قتلى تحت أديم السماء، وأنهم كلاب النار، وأنهم ليسوا من الله في شيء، وأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». هذه الأوصاف كلها وأمر النبي ﷺ ووصفه بالفضل العظيم لمن قتلهم أو قتلوه، هذا كله مع تلك الخصال الجيدة التي فسدت بالكبر والإعجاب، بالإدلال على الله، باحتقار الآخرين، بتقص العلماء، بالبعد عن منهج الصحابة رضوان الله عليهم.

حادي عشر : وجوب قتالهم وقتلهم وأجر من قتلهم أو قتلوه :

لما كانت تلك منزلتهم عند الله جزاءً على انحرافهم وإضرارهم بأمة الإسلام الضرر البالغ الذي شغلها عن حمل رسالتها إلى العالم وشغلها بنفسها قرونًا طويلة من الزمن، وأراق أنهارًا من دماء أبنائها، وأحل أعراضًا مصونة ودماءً وأموالاً معصومة ، كان واجب المسلمين نحوهم هو استئصالهم و القضاء عليهم، ولم تشفع لهم خصال ظاهرها الخير حملوها وتظاهروا بها فكان رسول الله ﷺ يقول: «لئن أدر كتهم لأقتلنهم قتل عاد أو ثمود»^(١) وأمر المسلمين بقتلهم إن لقوهم و وعد بالأجر العظيم لمن قتلهم وقتلوه «فَأَقْتُلُوهُمْ فَإِن قَتَلْتَهُمْ أَجْرٌ لِّن قَتَلْتَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢) ، «طوبى لمن قتلهم أو قتلوه»^(٣).

ثاني عشر : مصيرهم في الآخرة وأنهم «كلاب النار»:

هكذا يقول النبي ﷺ ، وهذا في الأخير مصيرهم ، ليسوا من أهل النار فقط ، ولكنهم كلاب النار ، ومع ما مر فإن العلماء لم

(١) تقدم تحريجه .

(٢) أخرجه البخاري: ٤/ ١٩٢٧ برقم ٤٧٧٠ .

(٣) أبو داود ٤ / ٢٤٣ برقم ٤٧٦٥ وأحمد ٣/ ٢٢٤ برقم ١٣٣٦٢، وصححه الألباني في (صحيح أبي داود) ٤٧٦٥ .

يكفروهم، مع أنهم كفروا الصحابة بالتأويل الفاسد^(١) واستحلوا
دماء المسلمين وأموالهم كذلك بالتأويل، فقَاتَلَهُم الصَّحَابَةُ
واحتسبوا الأجر والثواب في قتالهم، وذمَّوهم ونفَّروا منهم، و
لكنهم لم يكفروهم: وكان بعض الصحابة يصلي خلفهم مثل عبدالله
بن عمر، وكان ابن عباس يناظرهم ويجالسهم ويجالسونه مثل نجدة
الحروري ونافع بن الأزرق وهما رأسان من رؤوس الخوارج،
وهناك قصة مشهورة موجودة في (الإتقان في علوم القرآن)، وهي
أن نجدة هذا صار يسأل ابن عباس: يا ابن عباس، ما تقول في
كلمات وألفاظ وآيات في القرآن؟ فيقول تفسيرا كذا، فيقول: هل
يعرفها العرب؟ قال: نعم، ويأتي بأبيات من الشعر تؤيد ما ذهب
إليه، وهي قصة طويلة موجودة في (الإتقان).

فالشاهد من هذا أن الصحابة مع هذا كله عندهم وقت الحرب
حرب ووقت السلم يختلفون معهم، ولا يعني يتعدون عنهم، ولا
يكفروهم.

(١) لاحظوا عدل أهل السنة حين يجيء من يكفر عثمان بن عفان ويكفر علي بن أبي
طالب ويكفر من عاصروهم، ومنهم طلحة والزبير وكبار الصحابة، هؤلاء الأعلام
الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، إلا أن الصحابة -رضوان الله عليهم- رأوا أن هذا
الذي صدر منهم تأويل، وتأويل باطل فاسد، لكنه ليس تعمدًا للتكفير وليس قصدهم
هدم الإسلام، فلذلك لم يكفروهم.

وسئل علي عليه السلام أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، قالوا أمنافقون هم؟ قال المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، قالوا مما هم إذا: قال إخواننا بغوا علينا^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَالْحَوَارِجُ كَانُوا مِنْ أَظْهَرِ النَّاسِ بَدْعَةً وَقِتَالًا لِلْأُمَّةِ وَتَكْفِيرًا لَهَا وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُكْفَرُهُمْ لَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلَا غَيْرُهُ بَلْ حَكَمُوا فِيهِمْ بِحُكْمِهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ كَمَا ذَكَرَتْ الْأَثَارُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ»^(٢).

(١) رواه البيهقي في السنن: ٨ / ١٧٣ برقم ١٦٤٩٠

(٢) مجموع الفتاوى: ٧ / ٢١٧-٢١٨.

جملة اعتراضية

شأن التكفير والخوض فيه عظيم ولم يكن منتشرًا في عهد الصحابة قبل ظهور الخوارج - عليهم من الله ما يستحقون - ولم يكن السلف يخوضون فيه إلا بقدر الحاجة وفي أضيق نطاق ولم يكن يتكلم فيه طلبة العلم وعامة الناس^(١) ، وإنما يتكلم فيه الأئمة الذين لكلمتهم وزنها ، لأن التكفير من أخطر الأحكام ويترتب عليه أمور عظيمة، فنصيحتي الكف عنه ، والتوسط بين الفريقين الغالبيين فيه ، فلسنا مسؤولين عن إظهار تكفير أحد من المسلمين حكمًا ولا محكومين، فلا ينبغي أن يكون ديدننا فلان كافر فلان مسلم ، فلا ننفعنا هذا ولا يعود علينا بخير ، ولسنا كذلك محامين عن الأحكام، فالحكام في هذه الأزمان قد خالفوا شرع الله إلا ما شاء الله ، واستبدل كثير منهم شرع الله بشرع الكافرين ، ولكن ما جدوى أن يتكلم في هذا من هب ودب وينشغل به طلاب العلم عما هو عليهم من فروض الأعيان، وكذلك ليستحي ويخجل من نصب نفسه لتسويغ أعمالهم وتحسين سيئاتهم والتقرب والتزلف بما يرضيهم وإن

(١) عامة الناس وصغار طلاب العلم كانوا ينشغلون بها هو أولى لهم وأهم مما يترتب عليه أمر عملي يعملونه ويتقربون به إلى الله - عزَّ وجلَّ - .

كان ذلك يسخط الله، فكلًا المسلكين مرفوض وكلاهما من مسلك أهل البدع، أما أهل السنة فهم وسط بين ذلك، والله أعلم^(١).

ثم إن الذي ينبغي هو: أن نردّ أمورنا إلى أهل العلم قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٢) وليس كل عالم يؤخذ قوله في ذلك، فالعلماء الذين اشتهروا وأجمع عليهم أهل السنة من علماء الحديث والفقه والتوحيد المعروفين بحسن سلوكهم وصواب رأيهم وبكثرة علمهم وبتقواهم وملازمتهم للمنهج الصحيح هم الذين يرجع إليهم.

هؤلاء وإن ظهر من أحدهم بعض ما يمكن أن يفسر تفسيرًا غير صحيح، أو إن أخطأ أحد منهم في بعض المواقف أو بعض الفتاوى أو بعض الأمور، فإنهم لا يزالون هم الأئمة الذين يجب أن نرجع إليهم وأن لا نتقصهم، وأن لا نذكرهم إلا بخير، فإنهم وإن كانوا بشرًا ليسوا معصومين، فإنهم خير البشر الموجودين - إن شاء الله - من ناحية العلم والفتوى والاعتماد. فإن صدر ما صدر فلسنا نطعن فيهم، ولا نحقرهم، ولا نعرض عنهم، ولا نلغي فتاواهم، ولا نعترض عليهم.

(١) انظر - غير مأمور - رسالتي: التذكير بضوابط التكفير.

(٢) النساء: ٨٣.

وفي هذه الأيام نسمع بعض من لا يعد من أهل العلم يقول: إن فلاناً - من هؤلاء العلماء الأعلام - مرجيء ، وإن فلاناً جبان ، وإن فلاناً مداهن ، وإن فلاناً كذا، وإن فلاناً ... إلخ، هنا نقول لأنفسنا ما قاله سهل بن حنيف : «اتَّهَمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ»^(١). هؤلاء أحرص وأغیر منا على الدين وأصوب منا لفهمه ، وليس لنا إلا أن نتمسك بهم ونحبهم ونجلهم ونقدرهم .

وكما قلت: لا يلزم أن كل ما صدر عنهم صحيح ويجب أن نأخذ به ، فليسوا بمعصومين، ولا هم يرضون أن يكونوا مقلّدين في كل شيء ، فهم يعرفون أنه لا وجود لمن يقلّد في كل شيء بعد رسول الله ﷺ .

فالإنصاف مطلوب ، ولا ينبغي أن نشغل أوقاتنا بمثل هذه الأمور ، فلا ينبغي أن نتعرض للحكام ثم نعود للعلماء فنطعن فيهم، ونصفهم بالمداهنة والمكابرة، وقد ذكرت لإخواني في محاضرتي حادثة الحرم التي ما وقعت إلا بعد أن وصل أصحابها إلى إلغاء الثقة وإلغاء الاعتماد وعدم الاعتراف بأهل العلم ورفضهم وإبعادهم من طريقهم ، فلما خلا لهم الجو أفتوا من عند أنفسهم ، وتجاهلوا هؤلاء،

(١) أخرجه البخاري في (الجامع الصحيح)، كتاب الاعتصام، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ٨/١٤٨ رقم ٦٨٧٨ .

ودخلوا الحرم ، وعملوا فيه تلك الحادثة الشنيعة . فنحن في هذا
الجانب نقول لهم : إن الطعن في هؤلاء يكون - غالبًا - موجهاً
للإسلام وللسنة والتوحيد من أهل البدع والمخالفين .

الفصل الرابع

أبرز أصول الخوارج

نتكلم في هذا الفصل عن أبرز أصولهم التي عُرفوا بها ؛ تحذيرًا من مشابهمهم ، فإن من شارك فرقة من الفرق الضالة في أصل من أصولهم وتمسك به وجعله معقد الولاء والبراء كان مثلهم من أهل تلك الضلالات وأهل تلك الفرق - أعاذنا الله وإياكم من فرق أهل البدع - ومن أبرز أصولهم وما اشتهروا به :

الأصل الأول: التكفير بالمعاصي :

فمنهم من يكفّر العصاة في الصغيرة والكبيرة ، وبمجرد أن يقع مسلم في أي معصية فهو عندهم كافر ، ومنهم من يفرق بين الصغيرة والكبيرة ، ومنهم من يكفر ولكن يقول إن النار إنما هي لغيرهم من أهل الفرق ، أما أهل فرقتهم فإنهم وإن كفروهم إلا أن النار التي يدخلونها ليست النار التي أعدها الله للكافرين والمجرمين، وإنما هي نارٌ خاصة بهم!

انظر إلى الأهواء ، كيف يكذبون على الله ، ويزعمون أن نار عُصباتهم غير نار الناس الآخرين ، وأما غيرهم فهم في نار جهنم التي وصفها الله وأعدها للكافرين .

وهكذا هناك تفاصيل في قضية التكفير ، إلا أن السمة الغالبة هي اجتماعهم على التكفير بالمعاصي لعامة المسلمين وخاصتهم ، علمائهم وقادتهم وولاتهم ، وسر ذلك أنهم رأوا قادة الناس - من الخلفاء والأمراء والكبار - هم السبب في فتنهم ،

فاعتبارهم عثمان رضي الله عنه سبب محنة المسلمين، ثم رؤوس أصحاب الجمل علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ، ثم رؤوس أصحاب صفين علي ومعاوية ثم الحكمين أبي موسى وعمرو بن العاص ومن رضي بالتحكيم وعلى رأسهم علي ومعاوية رضي الله عنهم جميعًا ، اعتبارهم أساس الفتنة هو الذي جعلهم يحكمون بكفرهم ثم يبحثون عن الحجج التي تدل على كفرهم ثم توسعت الدائرة لمن حولهم من كبار القوم. ثم انتشرت لتصل إلى جميع المسلمين ممن ليسوا معهم في بدعتهم .

فاعتبروا قضية تكفير الحكام هي قضية المسلمين، وهي المنطلق الذي يبدأ منه التغيير وعليه تكون المفاصلة،، ثم من لحق بهم وانضم إليهم وسار بركابهم من كبار أصحابهم ومن قادتهم العسكريين ووزرائهم فكفروا أولئك الذين حول القيادة ، ثم وجدوا أن الجند وعامة الناس ينساقون وراء هؤلاء القادة وأتباعهم ولا ينكرون عليهم ولا يغيرون ما هم عليه من الكفر في زعمهم ، فانتقلوا إلى تكفير كل الأمة. هذه نقطة مهمة جدًا، وهي أنهم جعلوا نقطة معينة هي المنطلق الذي يدخلون منه ويعتبرونه هو طريق التغيير ، وأن وظيفتهم الفصل بين الإيمان والكفر والحق والباطل، فهؤلاء جعلوا قضيتهم في البداية هي الحكام والحكم عليهم بالكفر ، ثم بعد ذلك توسعوا هذا التوسع ، فنتج عنه التكفير العام لجميع المسلمين ،

وهذا طريق خطير من سلكه وجعله منطلقه ووسيلته للتغيير ، فإنه يوشك أن يصل إلى ما وصل إليه الخوارج .

وها هم الخوارج في هذا العصر أصحاب التكفير بدأوا من نفس النقطة التي بدأ منها أولئك الخوارج الأولون بفارق ، وهو أن الخوارج الأولين كفّروا عباد الله المؤمنين الصالحين، أولياء الله المتقين، الصحابة الكرام : «عليًا ومن معه ، ومعاقبة ومن معه من كبار الناس وأوليائهم وتقاتهم وصالحيتهم» ، لكن خوارج العصر بدأوا أيضًا من نفس النقطة وهي تكفير الحاكم، مثل ما حصل في مصر من جماعة (شكري مصطفى) بدأوا يتكلمون عن جمال عبد الناصر وحكمه في الإسلام وما يفعله بهم وبالمسلمين من نكال ومن فتن ، وما يؤيده ويؤصله من بواعث الكفر ، وهدم بواعث الإيمان في بلاد مسلمة ، ثم انتقلوا إلى وزرائه وقادته والقائمين على سجونه ومعتقلاته ، ثم توصلوا إلى كل المسلمين من علماء ودعاة ، رجال ونساء حتى أهاليهم وأزواجهم وآبائهم وأمهاتهم أصبحوا في حكم الكفار عندهم إلا من تبعهم واقتنع بما عندهم.

وإذا حلّ هذا بأي مجتمع وفي أي بلد ، وبدأ التغيير من هذه النقطة فإن المصير سيكون كذلك إن لم يتدارك الله الناس برحمته منه ، وبعلماء يبينون الحق ، ويميّزون بين الكفر والإيمان ، وبين من يستحق أن يطلق عليه الكفر ومن لا يستحق وبين من يحق له أن

يخوض في هذه المسائل ومن لا يحق له ذلك، وكذلك بين من تطرح عليهم تلك المسائل من كبار طلاب العلم عند تقرير تلك المسائل في الدروس وبين من يجب تجنب الخوض في تلك المسائل بينهم لقلّة فهمهم حتى لا يكون ذلك القول لبعضهم فتنة فنجنب أنفسنا وجيلنا ما وصل بالخوارج الأولين إلى ما وصلوا إليه، وهو الذي وصل بالخوارج المعاصرين - الهجرة والتكفير - إلى ما وصلوا إليه.

فالباب لا يزال مفتوحاً لمن دخله بنفس العقلية التي دخل بها أولئك، فمن دخله بنفس العقلية التي دخلوا بها وصل إلى ما وصلوا إليه ، وفي المقابل كانت نشأة المرجئة ردة فعل لتطرف الخوارج فجعلوا يدافعون ويتتبعون الحجج للرد على الخوارج حتى وصلوا إلى الطرف الآخر الذي خرجوا به عن أهل السنة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وهذا بخلاف بدعة الخوارج فإن أصلها ما فهموه من القرآن فغلطوا في فهمه ومقصودهم إتباع القرآن باطناً وظاهراً ليسوا زنادقة...» إلى أن قال : «وكذلك الإرجاء إنما أحدثه قوم قصدتهم جعل أهل القبلة كلهم مؤمنين ليسوا كفاراً قابلوا الخوارج والمعتزلة فصاروا في طرف آخر»^(١).

(١) مجموع الفتاوى: ١٧ / ٤٤٦ .

وهذا ما أرى ملاحظه ظاهرة منذرة بفتنة عظيمة بنفس التدرج من الطرفين^(١)، فهناك من يتحمس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حماسًا خارجًا عن حد الاعتدال، يُسلّمه إلى تبني منهج الخوارج والرافضة والمعتزلة في وجوب الخروج على الأئمة الظلمة دون تكفير، ثم تستمر بهم الأمور إلى القناعة بأن التكفير مقصور على الحكام، ثم ينسحب الأمر على من حولهم شيئًا فشيئًا إلى أن ينتهي الأمر إلى عوام المسلمين والدعاة والعلماء الصالحين بحجة سكوتهم عن إنكار المنكر ودفاعهم - زعموا - عن الطواغيت، ويترتب على ذلك استباحة الدماء والأموال والأعراض، وخير مثال على ذلك الجماعات المتطرفة الموجودة فعلاً في كثير من البلاد الإسلامية، يتدرجون في شطحاتهم إلى أن يصلوا إلى النقطة التي لا عودة بعدها إلا بصعوبة وعُسْر : تطرف من جهة تكفير الناس واستحلال دمائهم وأموالهم ، لا يزعمهم وازع ولا يردهم خوف من الله ولا خوف من الناس ، لأن تأويلهم يبيح لهم ذلك كما مثلت لكم ببعض الجماعات المتطرفة في الجزائر وغيرها .

وفي مقابل ذلك نرى تيارًا معاكسًا نصّب نفسه للدفاع عن الولاية، فوقعوا فيما وقع فيه المرجئة، وليس من المستغرب أن يقع عالم

(١) كان هذا الكلام عندما ألقيت هذا الموضوع في سلسلة لقاءات في معهد حضرموت قبل حوالي سبع عشرة سنة من الآن.

أو طالب علم بزلة لسان أو زلة قدم في مشابهة المرجئة في مسألة أو عدة مسائل، فالإنسان يخطئ بحجة من الحجج، بفهم من الأفهام، فيشابه أي فرقة من الفرق الضالة في مسألة في قاعدة في فهم من الأفهام، هذا أمر وارد ومعرض له كل الناس، فلا غرابة أن يقع فيه أي إنسان عالم أو غير عالم، ولكن الغرابة كل الغرابة أن ينهض مجاميع من الأتباع ويبدلون قصارى الجهود لالتقاط حجج المرجئة ليثبتوا بها صحة ما ذهب إليه شيخهم، هذا هو الخطر الداهم المنذر بعودة الحياة إلى تلك الفرق الضالة المنذرثة وإشغال العلماء بها بين راد ومردود عليه، هذه المشكلة الكبيرة، أي أن العالم - كما ذكرت - معرض لأن يخطئ، وخطؤه وإن كان كبيراً لكنه قد لا يكون كبيراً بالنسبة لما عنده من الخير والفضل والإحسان والعلم الذي نشره في الناس والدفاع عن السنة وعن أهل الخير وعن أهل الحق، بحرّ عظيم من الحسنات لا تكدره قطرات تسقط فيه، والمشكلة ليست فيمن ينتصب ليدافع عن عالم وعن علمه وعرضه، وعن خيره ومنزلته، فهذا واجب على جميع المسلمين، لكن المشكلة فيمن ينتصب ليدافع عن ذلك الباطل، ليدافع عن الخطأ نفسه، فهذه هي المصيبة العظيمة، وهذا هو الذي يتلطح به أهل الفرق الضالة أنهم يبحثون ويبدلون كل الجهود لتثبيت ما توصل إليه قادتهم وأئمتهم من الخطأ، وهنا لا يليق أن يكون عند أهل السنة أبداً .

الأصل الثاني: الخروج على أئمة المسلمين:

وهذا الأصل ليس خاصًا بالخوارج، وإنما هو أصل لكل الفرق الضالة، بخلاف الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة الذين يرون السمع والطاعة في المنشط والمكروه، في العسر واليسر، وفي صلاح الأئمة وفجورهم وفسوقهم ما لم يروا الكفر البواح الذي عندهم فيه من الله برهان، حتى لو رأوا الكفر البواح الذي عندهم فيه من الله برهان لا يقومون بتغييره إلا إذا ضمنوا أنهم بالتغيير يقيمون الدين ويزيلون المنكر، فالباطل الذي تسبب فيه هؤلاء الحكام لا يزال بباطل أشد منه .

أخرج اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة عن أبي قلابة قال: «ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف»^(١)، قال: وكان أيوب يسمي أهل الأهواء كلهم خوارج، ويقول: «إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف»^(٢)، ولذا يجب أن نحذر من الفتن ولو زينت أسماؤها، فسميت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما سميتها المعتزلة، أو سميت بالجهاد كما هو الحال في زماننا.

(١) أي أن استحلال السيف على أمة محمد ﷺ قادتهم وعامتهم ناتج عن أهل البدع، أو عن القناعة بالبدع .

(٢) اعتقاد أهل السنة: ١ / ١٣٤ برقم ٢٤٧ .

(٣) اعتقاد أهل السنة: ١ / ١٤٣ برقم ٢٩٠ .

وليس معنى هذا أننا ننكر جهاد الكفار ، ولا أننا نخالف منهج أهل السنة في أنه يخرج على الحاكم الذي يكفر كفرًا بواحد عندنا فيه من الله برهان، ولكن نقول :

أولاً : يجب تنقيح المناط حتى يكون تنزيل الحكم تنزيلاً صحيحاً ، ولتثبت قبل أن نطلق الحكم على من نريد أن نحكم عليه بالكفر أو الضلال أو الفسوق أو الإيذان .

ثانياً : أن تكتمل الشروط التي وضعها أهل السنة لشرعية الخروج على من كفر من أئمة المسلمين .
ولا يفوتني بالمناسبة أن أذكر بأمور :

الأمر الأول : ما ذكره شيخ الإسلام في (منهاج السنة) وهو يتكلم عن خروج الحسين السبط الشهيد عليه السلام حيث قال : «فإن الله تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم فإما أن يقال يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يولى غيره كما يفعله من يرى السيف، فهذا رأي فاسد فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضاً، وكالذين خرجوا على المنصور

بالمدينة والبصرة وأمثال هؤلاء^(١)، وغاية هؤلاء إما أن يُغلبوا وإما أن يغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة^(٢)، فإن عبدالله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقًا كثيرًا، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم^(٣) فهُزموا وهزم أصحابهم فلا أقاموا دينًا ولا أبقوا دنيا، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم، ومع هذا لم يحمدا ما فعلوه من القتال وهم أعظم قدرًا عند الله وأحسن نية من غيرهم، وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق، وكذلك أصحاب

(١) وحتى في العصر الحاضر، فالذين حملوا السلاح في وجه الأنظمة القائمة بها فيها، وحتى لو فرض مشروعية الخروج عليها من الناحية النظرية، إلا أنه من الناحية العملية لم تكتمل الشروط، فمثلًا كل الذين حملوا السلاح فشلوا وأسأؤوا إلى الدعوة إساءة عظيمة، و النتيجة واحدة هي التضيق الشديد على الدعوة ولفت أنظار العالم إليها واعتبارها من أخطر الأمور على أمن وسلام واستقرار العالم، مما نتج عنه الحرب الكونية على الارهاب الذي تقوده أمريكا ويساهم فيه بنصيب وافر أكثر دول المسلمين، ولم يقتصر الحرب على الغلاة وحاملي الأفكار المنحرفة بل تعدى إلى أهل الاعتدال والوسطية وحاملي أقوم المناهج.

(٢) كما هو حال مجاميع الشباب الذين لا يملكون القدرة على التغيير، ويشهرون سلاحهم في وجه الأنظمة القوية المتمكنة.

(٣) وكان أيضًا بعض الصحابة متعاطفًا معهم كما يقول الذهبي وكثير من علماء المسلمين الآخرين كسعيد بن جبير والشعبي وغيرهم، حتى أن هذه الثورة أو هذا الخروج سمي حركة القراء؛ لأن كثيرًا ممن فيها كانوا من العلماء من القراء.

ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل لعلم والدين، والله يغفر لهم كلهم».

الأمر الثاني: أن من اجتهد ممن يحق له الاجتهاد مع معرفتنا بصدقه وإخلاصه وأنه غير مدفوع من جهة خارجة عن الإسلام - من اجتهد ممن وصفنا - فتوصل إلى شرعية الخروج نظرياً أو خرج فعلاً، أنه لا يكون بذلك وحده خارجياً ولا يخرج به عن منهج أهل السنة والجماعة، ولا يعتبر من أهل البدع، وهذه كتب المقالات التي ألفها أهل السنة لم يعدوا من الخوارج ولا من المبتدعة من حصل منه ذلك من السلف أمثال سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن حنظلة الغسيل وهؤلاء صحابة، وخرج مع عبدالرحمن بن الأشعث عدد من العلماء مثل الشعبي وسعيد بن جبير وغيرهما، وخرج محمد بن عبدالله بن الحسن النفس الزكية وقد وثقه النسائي وذكره ابن حبان في الثقات. ونقل الآجري عن أبي داود قال: «أبو عوانة محمد وإبراهيم خارجيان، قال أبو داود: بئس ما قال هذا رأي الزيدية»^(١) وزيد بن علي كما قال عنه الذهبي: «خرج متأولاً وقُتِلَ شهيداً، وليته لم يخرج»^(٢).

فنحن لا نفر على ذلك، ولكن لانخرج من تأول فيه من حيز أهل السنة والجماعة. وكذلك لايجوز أن نُعين النظام عليه لا باليد

(١) تهذيب الكمال: ٤٦٥/٢٥

(٢) السير: ج ٥، ص ٣٩١

فنقاتل ضده، ولا بالبيانات والتصريحات والفتاوى التي تستغل استغلالاً سيئاً، وإن كان لها وجه في حقيقة الأمر.

سئل مالك - رحمه الله - إذا خرج بغاة على الأمير نقاتلهم معه قال رحمه الله: «إذا كان أميرك مثل عمر بن عبدالعزيز فقاتلهم»^(١).

الأمر الثالث: إن إنكار المنكرات على الحكام والأمراء من أوجب الواجبات ومن أعظم أصول أهل السنة وقد قال النبي ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»^(٢)، وقال: الدين النصيحة، قال الصحابي قلنا لمن يا رسول الله قال: «لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٣).

وعلى الناصح أن يكون أميناً حكيمًا مخلصًا صادقًا مع الله ثم مع نفسه ثم مع المنصوح. وأن يسلك أقرب الطرق وأضمنها للوصول إلى الهدف وهو إزالة المنكر وإقامة المعروف، وأن لا يقصد بنصيحته وإنكاره الظهور وإثارة العامة إثارة تؤدي إلى الفتنة.

والأفضل في نصيح الأمراء وولاة الأمور أن يكون سرًا فيما بين الناصح وبينهم، ولكن إذا اقتضى الأمر الجهر والإعلان فلا حرج، مثل أن لا يُمكن الأمير أحدًا من الوصول إليه، أو أن ينشر المنكر

(١) ذكره في الاعتصام .

(٢) رواه النسائي: ١٦١ / ٧ برقم ٤٢٠٩ وأحمد ٣١٥ / ٤ برقم ١٨٨٥٠، وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة) برقم ٤٩١ .

(٣) رواه مسلم: ١ / ٧٤ برقم ٥٥ .

بصورة علنية، أو أن يطلب من الناس عمل منكر أو إقرار باطل أو التعامل بمحرم، فإن ذلك يقتضي نصيحة الأمة وبيان أن ما يدعو إليه ويأمر به منكر يجب تجنبه و الحذر منه ، والنصح العلني وإنكار المنكر على الملأ إذا اقتضاه المقام ليس بخروج على الحاكم، ولا يخالف ما عليه أهل السنة و الجماعة، ومن قال غير ذلك فقد جانب الصواب إلا إذا أدى إلى الفتنة.

وقد ثبت الإنكار العلني عن كثير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وعُدَّ ذلك من مناقبهم العظيمة:

- فممن الصحابة عماره بن روية حيث رأى بشر بن مَرْوَانَ على المنبرِ رافعاً يديه فقال : فَبَحَّ اللهُ هَاتَيْنِ اليَدَيْنِ لقد رأيت رَسُولَ اللهِ ﷺ ما يزيدُ على أن يقول بيده هكذا وَأَشَارَ بِإصْبَعِهِ الْمُسَبَّحَةِ^(١).

- ودخل كعب بن عُجرة المسجد وعبدالرحمن بن أم الحكم يخطب قاعدًا فقال: «انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعدًا»^(٢).

- وهذا أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال طارق بن شهاب أوَّل من بدأ بِالْحُطْبَةِ يوم العِيدِ قبل الصَّلَاةِ مَرْوَانَ فَقَامَ إليه رَجُلٌ فقال الصَّلَاةُ قبل الحُطْبَةِ فقال قد تُرِكَ ما هنالك فقال أبو سَعِيدٍ أَمَا هذا فَقَدْ قَضَى ما عليه سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول : «من رأى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعِزَّهُ بيده فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فليَسَانِهِ فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فليقلبه وَذَلِكَ

(١) رواه مسلم: ٢ / ٥٩٥ برقم ٨٧٤ .

(٢) رواه مسلم: ٢ / ٥٩١ برقم ٨٦٤ .

أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ»^(١)، وفي رواية أبي داود عن أبي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ أَخْرَجَ مَرْوَانَ الْمُنْبَرِّ فِي يَوْمِ عِيدٍ فَبَدَأَ بِالْحُطْبَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا مَرْوَانَ خَالَفْتَ السُّنَّةَ أَخْرَجْتَ الْمُنْبَرِّ فِي يَوْمِ عِيدٍ وَلَمْ يَكُنْ يُخْرَجُ فِيهِ وَبَدَأَتْ بِالْحُطْبَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَقَالَ أَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ مِنْ هَذَا قَالُوا فَلَانَ بْنِ فُلَانَ فَقَالَ أَمَّا هَذَا فَقَدْ فَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَاسْتَطَاعَ أَنْ يُعَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَلْيُعَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ»^(٢).

وقد أثنى العلماء -رحمهم الله- على المجاهرين بكلمة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبروا ما قاموا به من مواجهة الحكام المخالفين أو الظلمة من أعظم مزاياهم، وقرأ ترجمة منذر بن سعيد البلوطي^(٣)، والعز بن عبد السلام^(٤)، والإمام النووي،

(١) رواه مسلم: ٦٩/١ برقم ٤٩.

(٢) رواه أبو داود: ١/٢٩٦ برقم ١١٤٠.

(٣) كان عالماً من علماء الأندلس، وكان معاصراً للعبد الرحمن الناصر أعظم خلفاء بني أمية في الأندلس الذي بنى قصرًا عظيمًا وجعل عليه قبةً وصبغها بالذهب والفضة، فرآه هذا العالم وكان هو خطيب الجمعة في مسجد هذا الأمير، فقام بخطبة ثم تطرق إلى موضوع هذه القبة، والأمير قاعد أمامه ويقول: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَائَةً تَعْبَثُونَ﴾ آيات قوم عاد، وجعل يستشهد بهذه الآيات والأحاديث في ذم فعل ذلك الأمير، وبعد خطبته تلك عزله الأمير من خطبة هذا المسجد وجعل رجلاً آخر مكانه، فجعل العلماء يعدون هذا الرجل من أعظم العلماء وأكثرهم قولاً للحق وصدقاً في عصره.

(٤) والعز بن عبد السلام كما تعرفونه أراد أن يبيع الحكام والسلاطين قال: أنتم عبيد مملوكون لبيت مال المسلمين، ولا بد أن نبيعكم ونضع ثمنكم في بيت مال المسلمين، وجرت له أمور كثيرة في ذلك - رحمه الله، ولذلك سمي سلطان العلماء، وما ذكره عالم إلا وترحم عليه وذكر خصائصه وفضائله، هذه المآثر قام بها واحتسبها عند الله - عز وجل -.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله جميعًا ، ولو فعل هذا في زماننا
بعض العلماء لعدّ من أكبر الخوارج .

وتأمل كيف كان الحكام في زمن الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-
يقولون القرآن مخلوق ويدعون إلى ذلك فيظهر الإمام أحمد مخالفتهم
في ذلك، و يصرح بأن من قال ذلك فهو كافر، ويسجن في سبيل
ذلك ، ويفعل به من التعذيب والتنكيل فعل العجب ، وهو دليل
أيضًا على الثبات والصبر والاحتساب حتى قيل : إن الله أظهر هذا
الدين برجلين : بأبي بكر يوم الردة ، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة^(١) ،
فنصر الله بالإمام أحمد السنة وقمع به البدعة وجعل الله له بذلك
لسان صدق في الآخرين، واسمعوا إلى كلمته العظيمة التي سجلها
التاريخ بحروف من نور حيث دخل عليه بعض إخوانه طالبين أن
يجيب ما عليه القوم وأنه قد أبيع له ذلك من باب قوله تعالى: ﴿إِلَّا
أَنْ تَسْقُوا مِنْهُمْ نَبْتًا﴾ ومن باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فقال: «إذا أجب العالم تقيه والجاهل يجهل فمتى
يتبين الحق؟»^(٢).

(١) قال ذلك علي بن المهدي -رحمه الله- انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٤١٨) .

(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح: (١/ ١٨٣)، وزاد المسير، لابن الجوزي: (١/ ٣٧٢) .

وإذا كان الحاكم كلما طلب من العلماء أمرًا أفتوه بأنه صحيح ، وكلما قال لهم كرهوا الناس في شيء كرهوهم فيه ، وكلما فعل شيئًا أيده ، فمتى يثبت الحق للناس والعلماء يقولون نحن معذورون بقوله تعالى : ﴿لَا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقَنَّةً﴾^(١) ؟ ، لاشك عندئذ أنه سيغلب الباطل على الحق ، وينحرف الناس عن الصراط المستقيم ، فالإمام أحمد خشبي من ذلك ، فرفض أن يقول كلمة الباطل وإن كان في قلبه خلاف ذلك .

ولكن هناك نقطة مهمة جدًا : رغم ما وصل إليه الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- من العذاب والنكال ، فقد أجاب بعض كبار المحدثين والعلماء في زمانهم ، أمثال : علي بن المديني ، ويحيى بن معين وغيرهما من العلماء والمحدثين الذين كان لهم منزلة عظيمة أجابوا ، لأنهم ما استطاعوا أن يقاوموا ويتحملوا مثل ما تحمل الإمام أحمد رحمه الله ، فما الذي حصل ؟ هل كفرهم الإمام أحمد ؟ هل فسقهم ؟ هل أخرجهم من جملة أهل السنة والجماعة ؟ صحيح أنه وجد عليهم في نفسه لأنه كان يريد أن يرتفعوا إلى مستوى أعلى ، وأن يعينوه ويؤيدوه ويشبتهو على ما ذهب إليه من مقصد الحق ، لكنه مع ذلك لم يفعل ولم يسفهم ولم يحقرهم أو يعدهم من الضالين أو الخارجين عن السنة .

(١) آل عمران : ٢٨ .

بقي لنا أن نقول خلاصة هذا الأمر أن للعلماء مع الحكام في النصيحة والتقد وإنكار المنكر والأمر بالمعروف بحالات:

أولاً: عندما يفتح الحكام أبوابهم للعلماء وينقادون لتوجيههم، في هذه الحالة تكون النصيحة مباشرة من العالم إلى الحاكم، وعلى العالم التحلي بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا ينبغي في مثل هذا الحال التشهير وإظهار عيوب الحكام لأنه لا حاجة لذلك.

ثانياً: عندما يكون انحراف الحاكم انحرافاً شخصياً في سلوكه و معصيته فيما بينه وبين ربه مع إقامة الدين وعدم التفريط فيه، فهذا كذلك يجب أن تكون النصيحة سراً و أن لا يشهر به لأن نتائج التشهير به أسوأ عليه وعلى الأمة من ارتكابه لتلك المعاصي، وهذا ما كان يتعامل به الصحابة مع العصاة من حكام بني أمية و في هذا يقول الشاعر^(١):

لعمرك إن في ذنبي لشغلاً	لنفس عن ذنوب بني أمية
علي ربي حسابهم إليه	تناهى علم ذلك لا إية
وماذا ضرني ما قد أتوه	إذا الرحمن أصلح مالدية

ولا يخفى أن خلفاء بني أمية بعد مروان وبعد معاوية رضي الله عنه كان فيهم من المعاصي مثل : شرب الخمر ولبس الذهب والحير ، وعندهم من الظلم والمنكرات لكنهم ما كانوا يرون الإنكار عليهم ،

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٥٧ / ٣٩٣، والأبيات للرياشي.

لأن هذه أمور خاصة بهم بينهم وبين ربهم ، فالأمر واضح والدين مستقيم والجهاد ماض والعدل منتشر بين الناس .

الحالة الثالثة: أن يكون الحكام أهل كيد ومكر وسخرية من العلماء، يظهرون ودهم واحترامهم عند مقابلتهم ثم يخالفون ما يقولون، و لا يعملون بما يدعوهم إليه العلماء، بل ربما أظهروا السخرية منهم عند جلسائهم الآخرين ، فهؤلاء إذا كانوا يشيعون المنكرات ويحملون الناس عليها ويروِّجون لها ويجاهرون بمخالفة أحكام الشرع ، ويسنون الأنظمة والقوانين المخالفة لشرع الله ، ففي هذه الحال لا بد من إيضاح الحق وإنكار هذا المنكر ، ويكون الإنكار علنيًا ، وكلما كان إنكاره جادًا بعيدًا عن التشهير والإسفاف كان أقرب إلى ما كان عليه العلماء السابقون ، وليس من الضروري أن يسمى فلان أو فلان ، بل يسمى هذا منكر وأن فعله لا يجوز ، وأنه لا يجوز طاعة أحد بما فيه معصية الله ، وما أشبه ذلك مما يؤدي الغرض دون إهانة .

ولا يجوز بأي حال استخدام أساليب الأحزاب العلمانية في الدس و الكذب و اللف والدوران والإثارة المؤدية إلى الفتنة، والكلام في المواطن التي يفهم فيها الكلام على غير قصد المتكلم،

أويستغله الملحدون و المنافقون على ما يريدون^(١)، فيكون المتكلم قد تسبب في فتنة أعظم و أيد منكرًا أكبر مما ينكره، وقد أسف أنس ﷺ حينما حدّث الحجاج بحديث العرنين حيث استغله الحجاج واحتج به على ظلمه و تنكيهه بالمسلمين.

فإذا ضبط الأمر بالمعروف و إنكار المنكر و نصح الحكام بما تقدم، كان عين منهج السلف الصالح و ليس منهج الخوارج، والله أعلم.

الأصل الثالث: خروجهم على الأمة باستحلال دمائهم و أموالهم و أعراضهم ، بدعوى أنهم كفار مرتدون فأبيح ذلك منهم:

و هذا تصديق قول النبي ﷺ: «يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان»^(٢)، و للأسف أن هذا الأصل تمسك به معاصرون، إما

(١) بعض الناس - كما هو حاصل الآن - يذهبون في المواطن كلها و في كل مكان يتكلمون بين أناس لا يعقلون مثل ما تثيره الصحف ، و مثل ما يتكلم به قادة الأحزاب و ما أشبه ذلك ، هذا ليس هو سبيل العلماء ، العالم يريد من كلمته أن تُثمر خيرًا للناس ، فإذا وجد أنها تُثمر خيرًا في أي موطن قاله ، و إذا وجد أنها تثير فتنة ، و لا تؤدي إلى إنكار منكر و لا إقامة معروف ؛ فإنه لا يقوها ؛ لأنه ليس المقصود أن أقول الكلمة و أمشي ، ولكن المقصود أن يُغير المنكر ، و أن يقام المعروف ، و أن يرد الظالم عن ظلمه ، أما الإثارة لمجرد الإثارة و التشهير لمجرد التشهير و الكلام لمجرد أن يقال فلان تكلم ؛ فليس هذا ما يقره و يؤيده علماء أهل السنة .

(٢) تقدم تحريجه .

بنفس الصورة كما يحدث من بعض فرق الغلاة في بعض بلدان المسلمين، أو باستباحة الأعراض دون الأموال والدماء، وربما تطور الأمر من استباحة الأعراض إلى استباحة الأموال، ثم إلى استباحة الدماء، ومادام تصور الخوارج موجود وهو أنه ليس على الحق سواهم، فكل شيء ممكن.

الأصل الرابع : عدم إعدار المخالف لهم مهما كانت حجته، بل يجب عندهم الإنكار عليه، بل في كثير من الأحيان تكفيره بسبب ذلك^(١) :

وهذا في الحقيقة منهج أهل البدع كلهم وليس خاصاً بالخوارج، وإنما خالف في ذلك أهل السنة الذين يعذبون من خالفهم ما لم يخالف أمراً مقطوعاً به من نص صريح أو إجماع صحيح.

أما الخوارج فقد ذكر عنهم أكثر العلماء إنهم يتدينون بقتال المسلم المخالف لهم، ويعاملونه معاملة الكفار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك من فيه نوع من البدع إما من بدع الحلولية،

(١) لو قرأت في كتاب (الفرق بين الفرق) لوجدت العجب العجيب كيف يتعامل الخوارج مع إخوانهم فضلاً عن أعدائهم، يختلفون - كما ذكرت - في مسألة قد تكون هذه المسألة في الصلاة أو في الجهاد أو مسألة في أي فرع من الفروع، فيقوم متكلم ويقول إنها حق ويعارضه الآخر بأنها باطل، فبمجرد ذلك يكفر بعضهم بعضاً، فينقسمون إلى فرقتين كل فرقة تكفر الأخرى، ولهذا كثرت فرقهم كثرة عظيمة.

حلولية الذات أو الصفات وإما من بدع النفاة أو الغلو في الإثبات وإما من بدع القدرية أو الإرجاء أو غير ذلك، تجده يعتقد اعتقادات فاسدة ويكفر من خالفه أو يلعنه، والخوارج المارقون أئمة هؤلاء في تكفير أهل السنة والجماعة وفي قتالهم»^(١).

ويلحق بهذا ما اشتهر عنهم أنهم يبتدعون البدع ثم يمتحنون الناس بها، ويكفرون ويضللون من خالفهم فيها^(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : «وهذا حال أهل البدع و الظلم كالخوارج وأمثالهم يظلمون الأمة ويعتدون عليهم إذا نازعوا في بعض مسائل الدين وكذلك سائر أهل الأهواء، فإنهم يبتدعون بدعة و يكفرون من خالفهم فيها كما تفعل الرافضة والمعتزلة والجهمية وغيرهم والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء ابتدعوا بدعة وكفروا من خالفهم فيها واستحلوا منع حقه و عقوبته»^(٣).

(١) منهاج السنة: (٢/٥٣٧).

(٢) مثل الخوارج ، من خرج معهم وحمل سيفه وقام يقاتل الناس فهو المؤمن المهاجر الذي له الجنة ، وأما إن قعد ولم يقاتل مع أنه يحمل فكرهم فهو مارق ، وكذا المعتزلة ابتدعوا القول بخلق القرآن ، ثم جعلوه أصلاً يمتحنون الناس به ، من قال بخلق القرآن فهو عندهم ولي يقرب ويكرم ويعطى كل شيء ، ومن امتنع عن ذلك آذوه وقطعوا ما له من الحقوق كما فعلوا مع الإمام أحمد وغيره ممن أبى القول ببدعتهم تلك.

(٣) مجموع الفتاوى: (١٧/٣١١-٣١٢).

وقال: «ومن تدبر هذا رأى أهل البدع من النفاة يعتمدون على مثل هذا فيبتدعون بدعًا بأرائهم ليس فيها كتاب ولا سنة ثم يكفرون من خالفهم فيما ابتدعوه»^(١).

قلت: وهذا بخلاف ما كان عليه أهل السنة من العذر بالجهل والعذر بالتأويل السائغ وعدم الإنكار في مسائل الاجتهاد، وهذا هو السر في بقاء أهل السنة منذ أن بعث رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا فرقة واحدة وطائفة واحدة مع ما يحدث بينهم من خلافات في أمور أصلية وأمور فرعية، كما ذكر ذلك عنهم ابن تيمية رحمه الله وغيره.

فيا سبحان الله، كيف تتسرب أصول أهل البدع إلى بعض المخلصين من أهل السنة فتصوّر لهم أنهم على منهج السلف الصالح وفهمهم، أو أن منهج السلف الصالح عصمهم ثم ينطلقون يمتحنون الناس ويوالون ويعادون على ذلك، فامتحان المخالف باسم أو رسم أو مفهوم خاص ليس من أصول أهل السنة، بل هو من أصول أهل البدع ومن أصول الخوارج بشكل أخص، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلامًا يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم

(١) درء التعارض: (١ / ٢٤٣).

شخصًا أو كلامًا يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون، والخوارج إنما تأولوا آيات من القرآن على ما اعتقدوه وجعلوا من خالف ذلك كافرًا لاعتقادهم أنه خالف القرآن، فمن ابتدع أقوالًا ليس لها أصل في القرآن، وجعل من خالفها كافرًا كان قوله شرًّا من قول الخوارج»^(١).

قلت : فتأمل هذا الكلام وانظر إلى ما يمتحنُ به إخواننا المدّعون للسلفية إخوانهم من أصول جعلوا عليها مدار الولاء والبراء مثل: الحزبية التي لا يفصحون عن معناها، بل ربما لا يعرف كثير منهم المراد منها، والسرية والإمارة والبيعة في ما يخص الدعوة إلى الله وفي إطار ما يضبط العمل الإسلامي من الفوضى و الاختلال، ثم ليت الأمر صادر عن تثبت فمن ثبت عنه شيء من ذلك عوقب على قناعته به، و لكنَّ الأشد والأنكى أنهم يتوهمون وجود ذلك عند إنسان أو جماعة، ثم يرتبون عليه أحكامًا في غاية القسوة والعنف والبعد عن منهج أهل السنة والجماعة.

وأما الشق الثاني من القضية فهو نصب شخصٍ ما وامتحان الناس به، فمن كان على ما هو عليه فهو الولي التقي، ومن خالفه فهو الشقي القصي، وهذا قد كثر جدًّا في الخوارج، حتى إنهم يعلنون

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/١٦٤).

بدون تخرج أنهم على دين فلان ، وإنهم يحبون أن يحيوا حياة فلان أو يموتوا موته، ليكونوا معه في الجنة .

وقد نطقت أشعارهم بذلك، فاسمع إلى أحدهم وهو يقول:

يا رب هب لي التقى والصدق في ثبت

واكفّ اللهم فأنت الرازق الكافي

حتى أبيع الذي يفضى بأخرة

تبقى على دين مرداسٍ وطوافٍ

نعم يريد أن يبيع الدنيا بالأخرة على دين مرداس ، وهو أبو بلال مرداس بن حدير ، أحد قادتهم المشهورين، وآخر اسمه طواف .

ويقول الآخر:

وأسأل الله ببيع النفس محتسباً

حتى ألقى في الفردوس حرقوصاً^(١)

(١) حرقوص هذا هو ابن زهير السعدي ذو الخويصرة وهو رجلٌ من بني تميم قام وأنكر على النبي ﷺ قسمته فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْدِلْ . فَقَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَدُنُّ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عَنْقَهُ . فَقَالَ: «دَعُهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْتَمِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَفْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّوْمِيَّةِ...» الحديث أخرجه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري .

وابن المنيع ومرداساً وإخوته

إذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصاً^(١)

والثالث يقول:

أنا ابن خير قومه هلال

شيخ على دين أبي بلال

وذاك ديني آخر الليالي

ماهو على دين النبي محمد بن عبد الله ﷺ وإنما على دين أبي

بلال!

وقال عمران بن حطان:

لقد زاد الحياة إلى بغضاً

وحباً للخروج أبو بلال

وعروة بعده سقياً ورعياً

لعروة ذي الفضائل والمعالي

أحاذر أن أموت على فراشي

وأرجو الموت تحت ذرى العوالي

و لو أنني علمت بأن حتفي

كحتف أبي بلال لم أبالي

(١) مخاميص يعني: جيع .

فمن يك همه الدنيا فإني

لها والله رب البيت قالي

فهو يريد موتاً مثل موت أبي بلال ، إذن الدين دين أبي بلال
والحياة حياته ، والموت موته وفي أبي بلال المودة والبغض والولاء
والبراء، وكأني بلسان حالهم يقول :

ولكن اللواء لواء سلم	عليه عرى الولاية والبراء
هو الحق المبين بدون شك	هو النهج السديد بلا امتراء
على كل الأئمة أن يعودوا	إليه ويفردوه بالافتداء
ويعلن في المحافل كل يوم	بلا لبس ومن غير امتراء
إذا قالت حذام فصدقوها	فإن حذام صاحبة اللواء
وإن نادى حذام فبادروها	وإن لم تعقلوا معنى النداء
وإن حكمت حذام فأيدوها	فإن حذام عادلة القضاء
وإن قالت حذام الصبح ليل	فقولوا الشمس تطلع في المساء
ومن زكت حذام هو المزكى	وفرض أن يجلل بالثناء
ومن جرحته مجروح بغيض	عدو الحق مشهور العدا
ونهج الحق محصور ضئيل	يضيق عن التوافه والغناء
ولا يُنمى إليه سوى بختم	وعند حذام ختم الانتماء
فمن يحظّ بختم حذام ناج	ومن لم يحظ في درك الشقاء

فهذه هي أشهر أصول الخوارج ، وهي مأخوذة من الخصائص
التي ذكرنا سابقاً ، الخصائص التي وصفهم بها النبي ﷺ وهي :

ضحالة التفكير : «يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم»، وقلة الفقه في الدين ، والغلو والتنطع ، وظاهرية الاستنباط والتعامل مع نصوص الشرع ، وضيق الولاء وقصره على أنفسهم ، والعجب بأنفسهم والتكبر عن سواهم .

هذه الخصائص هي التي جعلتهم يسرون إلى تأصيل هذه الأصول ، وبالتالي متى وجدت هذه مجتمعة أو متفرقة عند قوم ، فإن انسحاب وصف الخوارج عليهم يعتبر ممكناً ، فلذلك نحذر من كل ما كان عليه الخوارج ، ونتمسك بأصول أهل السنة بجدة وبحق وبشكل شامل ومتوازن وبدون دعاوى أو هوى ، بل بما كان عليه فعلاً العلماء ، وأن نجعلهم في ذلك قدوتنا .

مصيبة كبيرة أن يصبح الشباب أو الدعاة - غير العلماء - هم الذين يؤصلون ، وهم الذين ينظرون ، وهم الذين يجلّون ويحرمون ، وهم الذين يرسمون الطريق دون الرجوع إلى العلماء . إن ذلك هو الخطأ الكبير ، ذلك الذي أوقع الخوارج حين تركوا علياً وابن عباس وكبار فقهاء الصحابة واستقلوا بأرائهم ، وتكبروا عليهم ، وذلك الذي دائماً في كل زمان يجعل الشباب ويجعل قصار النظر من طلاب العلم وعامة الناس يصلون إلى ما يصلون إليه من الخروج عن منهج الاعتدال ومنهج الحق .

فلتتمسك بها عليه علماء المسلمين ، ولنحذر من أدعياء العلم ،
الذين يدعون العلم من غير أن يكونوا فعلاً بأهل علم .
فحين يصور أحدهم نفسه بأنه العالم والمفتي والمحدث ، وأن
عنده مفاتيح الأمور فلا تصدقوه إلا إذا شهد له بذلك علماء
المسلمين ، فنسأل الله أن يرزقنا جميعاً معرفة قدر أنفسنا ، وألا
نتناول إلى منازل هي أرفع من منازلنا ، ونسأل الله أن يرزق إخواننا
جميعاً حسن النظر والثبات على الكتاب والسنة ، إنه سميع مجيب .

الفصل الخامس

أهم الأسباب التي دعت إلى انتشار
فكر الخوارج في صدر الإسلام

تبين لنا مما تقدم أنه ليس في فكر الخوارج من حيث هو فكر ما يغري باتباعه ، فلا أسس علمية ، ولا نظريات منطقية مقنعة ، ولا أدلة قطعية واضحة ، ولا سلوك مرضي لأن سلوكهم يتسم بالجفوة والشدة والغلظة على أعدائهم ، ولا نصوص تحث على اتباعهم وسلوك سبيلهم ، بل العكس هو الصحيح ، أي أن كل ذلك كان بالعكس ، والنصوص كانت تحذر منهم ، وتأمّر بقتلهم وملاحقتهم وحرهم ، وتوعد من اتبع أو من سار في طريقهم بالنار ، بل تصفهم بأنهم كلاب النار .

ومع ذلك نجد أن هذا الفكر انتشر ، وأنه صار له أتباع ، وشكّل قوة كبيرة جداً^(١) أقلقت الدولة الإسلامية في أزهى عصورها وفي أوج قوتها ، فلم حصل هذا؟ في الحقيقة توجد أسباب عديدة

(١) هذا يدل دلالة واضحة على أن الفكرة أو الجماعة أو الطائفة أو الفرقة من الفرق لا يقاس صلاحها أو استقامتها وثبات منهجها بقدر اتباعها ، وهذا دليل التاريخ : فرق انتشرت وتضخمت وهي على الباطل ، وهؤلاء الخوارج أقرب مثال لنا ، وليسوا وحدهم ، بل سنذكر - فيما بعد - أن هناك فترات من التاريخ مرت ، وكان أهل البدع هم أقوى الناس وأكثر الناس ، وكان لهم الصولة والجولة ، ولكن ذهبوا ولم يبق إلا مكائدهم وسيئاتهم ترونها كتب التاريخ .

فهذه مسألة مهمة جداً فلا يغرينا كثرة انتشار جماعة من الجماعات ، ويجعلنا نعتقد أنها على الحق ، بل الحق هو ما وافق السنة ، وإن كنت وحدك كما قال غير واحد من السلف .

دعت إلى انتشارهم ، أسباب من جانب الأوضاع السياسية والاجتماعية ، وظهور الانحراف في جوانب مختلفة من حياة الأمة ، وقد كان أصل خروج الخوارج بأمر يتعلق بالحكام وهو زعمهم وظنهم السيئ^(١) في عثمان أولاً ، ثم في علي وإخوانه من المهاجرين والأنصار ثانياً ، كما سنذكر فيما يلي :

(أ) أسباب من جهة الأوضاع السياسية والاجتماعية وظهور الانحراف في جوانب مختلفة من حياة الأمة ، ومن ذلك:

(١) فساد الحكام وظلمهم:

انطلقت الشرارة الأولى للخوارج بشكل علني وواضح عند قبول علي عليه السلام بالتحكيم ، والتحكيم من وجهة النظرة الشرعية الصحيحة هو أفضل الوسائل لحقن الدماء وتضميد الجراح ونزع فتيل الفتنة المشتعل ، وربما لو استمر القتال أزهقت أرواح وأسيلت دماء وذهب من خيار المسلمين أعداد كبيرة ، فما هي الوسيلة التي يحقن بها هذا الدم وتحفظ بها هذه الأرواح إلا أن يلتقي الطرفان ويحكمان من يرون أنه أهلاً للتحكيم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليحكم بما يراه حقاً ، هذا هو الذي رآه علي عليه السلام عندما قبل

(١) هكذا كانت البداية بالظن السيء في الخلفاء الراشدين ، ثم بعد ذلك ظهر الانحراف فعلاً والفجور والسوء في الحكام الظلمة ، وكان هو الطاقة الدافعة التي يستمد منها الخوارج قوتهم ودعايتهم للناس وإغرائهم للناس باتباع سيبلهم .

بالتحكيم، والأمر منطقي وطبيعي وهو أمر موافق لأمر الله عز وجل الذي يقول : ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١).

ومن المعروف أن القرآن لا يحكم بنفسه في كل مسألة والسنة لا تفصل بذاتها في كل قضية ، ولكن الرجال العلماء هم الذين يأخذون من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يحكمون به بين الناس ، غير أن ضيق عطن الخوارج وضحالة تفكيرهم لم يجعلهم يستوعبون الأمر على ما أراده المعنيون به ، بل فسروه من عند أنفسهم بأنه تهافت على السلطة وانحلال من القيم وانحراف عن نهج الشيخين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ولذلك لم يفت في أعضادهم نكبتهم الكبيرة يوم النهروان ، ففعلوا ما فعلوا وخرجوا على علي ؑ ، وأصيبوا في أول يوم لهم ، ولكن هذه الهزيمة المنكرة - التي لحقت بهم حتى لم يبق منهم إلا جماعات قليلة جداً هم الذين هربوا وفرّوا في أطراف البلاد - لم ترجعهم عن غيهم، وإنما جعلتهم يتأهبون مرة أخرى للعودة وتكوين الجماعة من جديد للقيام على الخلفاء ، وبقي من نجا منهم مؤمناً بفكرته داعياً إليها مصمماً على إراحة الأمة من حسيبهم سبب شقائها ، وهم الثلاثة الكبار علي ومعاوية وعمرو بن العاص رضي

(١) النساء : ٥٩ .

الله عنهم ، وكان نتيجة ذلك قتل علي وخارجة بن زيد رضي الله
عنها وإصابة معاوية بجروح .

هذه النتيجة : قتل علي وقتل خارجة بن زيد الأنصاري
الصحابي وإصابة معاوية كل هذا كان على يد الخوارج ، وكان دليلاً
عل أنهم مصممون على مواصلة السير ومقاومة الحكام حتى يريحوا
الناس من شرهم ويكونوا هم الحكام الذين يعدلون ويحكمون بما
أنزل الله على حسب زعمهم ، وكانوا يعدون ذلك من أفضل أعمالهم
وأرفعها لدرجاتهم، حتى قال عمران بن حطان يمدح ابن ملجم في
قتله علياً عليه السلام:

يا ضريبةً من تقي ما أراد بها إلا ليلبغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

انظروا إلى هذا الشقاء والخسران ، لقد زين الشيطان لهم سوء
أعمالهم فأوها حسنة ، يعتبر قاتل علي تقياً ، لأن الضربة التي
وجهها إلى رأسه عليه السلام ما أراد بها إلا أن يتقرب إلى الله ، وأنه بهذه
الضربة يعتبر أوفى الناس ميزاناً يوم القيامة ، فلا يُستغرب من مثل
هذا أن يسب من يسب تقرباً إلى الله ، وأن يهجر من يهجر تقرباً إلى
الله ، وأن ينتهك الأعراض تقرباً إلى الله ، ويأخذ أموال الناس بدون
حق تقرباً إلى الله ، ويستحل قتل النفوس المعصومة تقرباً إلى الله
أيضاً ، هذا كله جائز عند ذوي الأفكار المنحرفة والعقول المضللة .

ولما انتقلت الخلافة إلى بني أمية جدت أمور وحدثت أحداث استغلها الخوارج أسوأ استغلال وأغروا بها الناس ، واستطاعوا أن يحشدوا بها الرعاع من الناس ويؤلبوهم ضد الخلافة ، وبذلك انتشر فكرهم و دخل فيه مجاميع من الناس سيما الأعراب وجفاة الناس وجهالهم ، كما وصفهم النبي ﷺ : «حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام»^(١).

وبعد وفاة معاوية رضي الله عنه ازدادت الأمور سوءاً، وظهر الفساد والترف وانتشرت المظالم ، فكانت فرصة لانتشار الخوارج ورواج فكرهم ، وهكذا الحال في أيام بني العباس ظهر فساد في الحكم وفساد في الرعية ، كل ذلك من أسباب انتشار فكر الخوارج .

٢) فساد المجتمع وفسو المنكرات فيه :

بعد أن فتح الله على هذه الأمة البلاد وأورثها خزائن الفرس والروم، وانقرض جيل الصحابة الذين تربوا على الجد في كل الأمور من عبادة وعلم وجهاد وعمل صالح في شتى الميادين ، ورثهم جيل مترف منعم لم يتح لهم من التربية ما أتيتح للصحابة رضي الله عنهم إضافة إلى الفراغ الذي سببه انحسار تيار الجهاد ووفور الأموال وأسباب الرفاهية ، وهذه الأمور يقول عنها أبو العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

(١) تقدم تحريجه.

ومن ذلك دخول أُمم إلى الإسلام، لهم من العوائد والطباع ما يفسح المجال لانتشار الفساد، كل ذلك ساعد على ظهور أنواع من الفساد والمعاصي وخصوصاً اللهو وما يتبعه من أمور، مما جعل أهل الغيرة تتأجج مشاعرهم لتغيير هذا الوضع، ولقلة العلم عند كثير من الناس لم يروا أملاً في تغيير هذا الوضع غير الـراية التي رفعها الخوارج فلحقوا بها^(١).

٣) فقدان الثقة بالعلماء :

في غمرة الحماس وتأجج العواطف تختلط الألوان وتعشي البصائر وتنقلب المفاهيم كما قال الشاعر:

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

ومن هنا نظر المتحمسون إلى العلماء فوجدوهم فئات :

- منهم من انشغل بالعلم وآثره، واستحوذ عليه الطلب والإفادة ولم تكن الدنيا بأسرها تساوي عنده شيئاً، ولم يحتك بالناس فيطلع على ما غشاهم من فساد، فلذا لم يتفاعل ولم ينهض للتغيير^(٢).

(١) وإلى الآن يتكرر الكلام نفسه، يجتمع الناس حول الغلاة والأحزاب المعارضة بمختلف تياراتها، يظنون أنهم أمسكوا بسبب نجرهم من الأزمة والمحنة ومن ضنك المعيشة ومن غلاء الأسعار ورفع المظالم وإزالة الرشوة والمفاسد، وهكذا مثلاً كان الناس بعد جيل الصحابة يرون الخوارج هم المنقذ الوحيد لهم من ظلم الحكام وفساد المجتمع، ولكنهم كما قيل: كالمستجير من الرمضاء بالنار.

(٢) هذا كان دأب كثير جداً من العلماء - وبالذات علماء الحديث - ما كانوا يعرفون هذه الدنيا وما فيها من فساد، ربما يدخل بغداد أشهر البلاد وأقواها وأكثرها فساداً

- ومنهم من فعل ما يقدر عليه بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، ولم يجد لهذا الأسلوب جدوى ظاهرة في إيقاف تيار الفساد أو على الأقل في نظر المتحمسين.

ولا يدري أنه يوجد بها خمر أو زنا؛ لأنه يعيش بين الصالحين ، يدخل مباشرة إلى المسجد ومنه إلى سكن الغرباء وبين طلاب العلم وهو لا يدري ما يدور في الخارج ، ومن هنا كيف يتفاعل لإمداد الناس بما يحتاجونه من توجيهات؟! ثم إن الدنيا كلها عنده لا تساوي شيئاً ، فكل همه أن يظفر بحديث يكتبه ويجوّده ويحفظه للناس ، وذلك أحب إليه من كل ما تحتوي عليه بغداد ، فهذه الفئة موجودة بكثرة قديماً وحديثاً ، وهؤلاء لا شك أن الله نافع بهم، وأنه حفظ بهم الدين ، لكن المشكلة أنه في بعض الفترات يظهر من هؤلاء أخلاق غير مرضية ، أما المتقدمون فجزاهم الله خيراً قنعوا بما هم فيه ، وفعلاً حفظ الله بهم الدين ولم يتطاولوا على من انشغل بالإصلاح ، وعلى من انشغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى من خالط الأمراء - لتوجيههم وإرشادهم - من غيرهم إلا نادر ، لكن في بعض الأحيان رغم أن هؤلاء يعملون عملاً طيباً لكنهم يريدون من الأمة كلها أن تسير وراءهم، يريدون الأمة كلها أن تنغمس وسط الكتب، وتعيش تبحث وتنقب وتصحح وتضعف، ويظنون أن بهذا - وحده - ستصلح الأحوال ، وبه يزول الفساد وتقوم دولة الإسلام، ومن لم يفعل ذلك وانشغل بأمور أخرى ، فهو ضائع مائع مبتدع حزبي، هذه هي المشكلة الكبيرة التي يعاني الناس منها .

ولا شك أن التفرغ للعلم وحفظه هو الذي أوصل الله به الدين إلينا ، ولولا أن الله أوجد أناساً صرفوا أنظارهم عن كل شيء إلا حفظ حديث رسول الله ﷺ لما وصل إلينا هذا الدين بهذه الصورة، لكن الجاهل لا يدري لما يرى من علو أهل الفساد وضعف أهل الإصلاح، مع انتشار الفساد والنار تلتهم صرح الإسلام وهؤلاء مشغولون بعلمهم ، فيتهمهم بالتقصير والغفلة وعدم التفاعل مع الدين والغيرة عليه ، ويترتب على ذلك فشو الغلو.

- ومنهم من خالط الحكام والأمراء بقصد حسن ونية صادقة؛ فدخلوا في غمار الأمة بحكامها ومحكومياتها ولمسوا ما يعايناه الناس ، لكنهم ينظرون إلى هذه الأمور بعين العالم الحكيم المتأني الحلیم الذي لا يتعجل ولا تشطح به نزواته فيستعجل الأمور قبل أوانها ، فيعملون برفق وحكمة ، ويصلحون ما أمكن إصلاحه ، ويتجاوزون ما عسر عليهم ، وهؤلاء هم في الحقيقة الذين أخذوا الطريق الصحيح ، الطريق الوسط المستقيم ، ولكن تيار الفساد بكثرتة غلبهم وزاد عليهم ، وهؤلاء غير مرضي عنهم عند المتحمسين .

- ومنهم علماء السلطة المملقون، خالطوا الحكام والأمراء ليسوغوا لهم مصائبهم وفضائحهم ومعاصيهم ومفاسدهم، وانساقوا ورائهم ووظفوا الأدلة من أجل شهواتهم وضياعهم، وزينوا لهم باطلهم فصاروا سبة على العلماء وحجة للمتحمسين الجهلة أن ينفضوا أيديهم من أهل العلم و يلتفوا حول المتحمسين المتعالمين، فهؤلاء هم في الحقيقة سبب المحنة، وهم الحجة للخوارج وغير الخوارج في أن يترك الناس العلماء وينسون أن هناك علماء صالحين تجب طاعتهم ، وأن الأمة لا تزال فيها الطائفة المنصورة والفرقة الناجية القائمة بالحق، فهؤلاء العلماء كما وصفهم الشاعر :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا وودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

ولهذا انتصب دعاة الخوارج وأعلنوا أنفسهم مجددين ومنقذين،
وقالوا من كلام خير البرية ، وقرأوا القرآن ولم يجاوزوا به
حناجرهم، فاستحوذوا على الرعاع و ضعاف العقول وسرت
دعوتهم في أوساطهم ، لما وجدوهم هم المتحركين وهم الذين
يظهرون أمام الناس ، وهم الذين يقودون وهم الذين يبحثون عن
هموم الناس ويتلمسونها ، فصاروا كأنهم هم المنقذون .

هذه أسباب من جهة الوضع العام ، ومن جهة الوضع السياسي
ووضع الأمة وعلماؤها، وهذا كله موجود اليوم ويضاف إليه ما
تعانيه الأمة من معاناة وتسلط وضعف في مواقف حكامها وانسياق
أكثرهم وراء العدو وتنفيذ سياساته، والتعاون معه ضد فئات من
المسلمين مع ما تعرضه وسائل الإعلام من مناظر تقشعر لها
الأبدان؛ مما يجري على إخواننا المسلمين في أنحاء بلاد الإسلام،
يضاف إلى ذلك الفساد الأخلاقي المعلن في كثير من بلاد المسلمين
والمحمي من بعض الدول الإسلامية والاستجابة للبهاء لما تدعوا
إليه المنظمات الدولية الزاعمة بأنها تدافع عن حقوق الإنسان أو

حقوق المرأة، إلى غير ذلك مما يلهب حماس الشباب ويؤجج عواطفهم ويدفع بهم إلى تبني منهج الخوارج .

أما من جهة الخوارج أنفسهم ، فنوجزها فيما يلي :
ب) أسباب من جهة الخوارج أنفسهم :

(١) مظاهر الزهد والعبادة :

وقد سبق ذكر شيء مما كانوا عليه من ذلك ، وهذه المظاهر خلافة مشجعة على التفاف الناس حول من اتصف بها ، كون النفوس مفطورة على التعبد لله عز وجل والقرب منه ، وهي بالتالي تحب من ظهر ذلك منه ، وترى فيه القدوة والمثال الحسن الذي ينبغي احتذاؤه ، فلا شك أن لهذا الجانب تأثيراً عظيماً على جمع الناس حول الخوارج .

(٢) الحماس الدافق :

وهذه الخصلة مؤثرة تأثير السحر على من يخالط من اتصف بها ، لأن المتحمس يتفاعل بجميع مشاعره وحواسه مع الفكرة التي يطرحها ، وتنبثق دعوته التي هو متحمس لها من قلبه فتصل إلى قلوب مخالطيه وسامعيه ، فتأسر مشاعرهم وتحول بينهم وبين عقولهم وتفكيرهم ، ولا تدع مجالاً لحساب الربح والخسارة أو النظر في العاقبة ، وكانت الحماسة الظاهرة من أبرز سمات الخوارج ، وقد

صاغوها نظماً ونثراً في قوالب تحرك الجهاد وتمز المشاعر المتبلدة،
واسمع إلى هذا الرجز المؤثر :

حتى متى تخطئني الشهادة

والموت في أعناقنا قلادة

ليس الفرار في الوعى بعادة

يا رب زدني في التقى عبادة

وفي الحياة بعدها زهادة

واسمع إلى قطري بن الفجاءة وهو يُثبَّت نفسه ويحثها على
الاستبسال والصمود في السبيل الذي يرى أنه الحق :

أقول لها و قد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيلُ الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي فداعيه لأهل الأرض داعي
ومن لا يغتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون إلى انقطاع
و ما للمرء خير في حياة إذا ما عدُّ من سقط المتاع

وحتى نساؤهم على جانب كبير من الحماسة وطلب الشهادة
بزعمهم ، اسمع إلى هذه وهي تقول :

أحمل رأساً قد سئمت حمله

وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يحمل عني ثقله

هذا الخطاب الأخاذ الذي سكب في هذه القوالب الشعرية،
وقريب منه الخطب الرنانة التي كان يلقيها قادة الخوارج واللهجة
الحماسية الصادقة التي يتحدث بها الخوارج؛ كل ذلك يفعل في
نفوس السامعين فعل السحر؛ فيحملهم على قبول أفكار الخوارج
والاستجابة لأقوالهم والاندفاع لتطبيق تعاليمهم.

٣) العاطفة المتأججة :

اشتهر الخوارج بالعاطفة المتأججة ، وبالخطاب الذي يحرك
المشاعر ويمتلك العواطف، ويحمل سامعه على التفاعل معه
والتعاطف الكبير مع قائله، ويبرز ذلك في عدة نواح:

- منها شكاية أحوال الولاة وفساد المجتمع وتصوير الوضع
بصورة قائمة مفزعة ، تستدعي سرعة التحرك لإنقاذ ما يمكن
إنقاذه.

واسمع إلى ما يقوله أبو بلال مرداس بن أدية^(١) أحد رموز

الخوارج:

إلهي هب لي زلفه ووسيلة إليك فإني قد سئمت من الدهر
وقد أظهر الجور الولاية وأجمعوا على ظلم أهل الحق بالغدر والكفر
وفيك إلهي أن أردت مغيراً لكل الذي يأتي إلينا بنو صخر
فقد ضيقوا الدنيا علينا برحبها وقد تركونا لا نقر من الذعر

- ومنها إظهار أنهم مظلومون مضطهدون من أجل دينهم
وتمسكهم بالمنهج الصحيح الصافي الذي يحملونه ويدافعون عنه ،
يقول أحدهم في رثاء قوم منهم قتلوا في إحدى المعارك :

شباب أطاعوا الله حتى أحبهم وكلهم شار^(٢) يخاف ويطمع
فلما تبوءوا من دقوقا بمنزل لميعاد إخوان تداعوا فأجمعوا
دعوا خصمهم بالمحكمات فبينوا ضاللتهم والله ذو العرش يسمع
بأنفس قتلى في دقوقاء غودرت وقد قطعت منها رؤوس وأذرع
لتبكي نساء المسلمين عليهم وفي دون ما لا قين مبكى ومجزع

(١) وهو نفسه أبو بلال مرداس بن حدير ، وأدية أمه وأبوه حدير .

(٢) شار واحد للشراء ، وهذه هي الصفة أو اللقب الذي كان يلقب به الخوارج
يقولون لأنفسهم : الشراة ، أي الذين باعوا أنفسهم لله ، فالشاري أي البائع ، ولفظ
الشراء ولفظ البيع يتناوبان ، فيقال شري بمعنى اشترى ، وشري بمعنى باع ، والشراة
أي : البائعون ؛ الذين باعوا أنفسهم وأموالهم وما يملكون لله - عز وجل - .

- ومن ذلك وصف حال الزهد والعبادة والصفاء والنقاء ، حتى ليخيل لسامعهم أن ذلك وصف ملائكة وليس وصف بشر ، واسمع في ذلك إلى خطبة أبي حمزة^(١) حين دخل المدينة وهو يصف أصحابه مرغباً أهل المدينة فيهم: «شباب والله مكتملون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة وأطلاح سحر فنظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة خوفاً منها ، كأن زفير جهنم بين أذنيه موصول كلالهم بكلالهم ، كلال الليل بكلال

(١) أبو حمزة قائد من قادة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي، من الأباضية الذين كَوَّنوا دولتهم في حضرموت - شبام وما حولها -، ثم انطلقوا فاحتلوا ما بينهم وبين المدينة مروراً بمكة وأطراف اليمن ، إلى أن وصلوا إلى المدينة وانتهت مسيرتهم بمعركة ومذبحة حقيقية بشعة كانوا في (قديد) موضع قرب المدينة ، فخرج إليهم أهل المدينة يريدون صدهم ، وكان الذين خرجوا إليهم - معظمهم - ليسوا من الجيش المدرب ، ولكن من عوام الناس غير ذوي الخبرة بقتال ، فاجتمعوا في مكان ، وكان الخارجون مدربين على القتال عارفين بأساليبه ، فتركوهم حتى جمعوهم في مكان معين ، ثم هجموا عليهم فأبادوهم ولم يبقوا منهم إلا القليل ، قتلوا منهم حوالي سبعة آلاف أو ثمانية آلاف دفعة واحدة ، مع أن الجيش المهاجم ما كان بهذه الكثرة ولا قريب منها ، ولكنهم بطريقة معينة استطاعوا هزيمتهم . وكان لها وقع عظيم وسيء ، وكثير من هؤلاء الذين قتلوا من أبناء المهاجرين والأنصار .

النهار قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم و أنوفهم ، واستقلوا ذلك
في جنب الله...»^(١).

ويصف جماعة منهم أحد شعرائهم فيقول:
إذا ما الليل أظلم كأبدوهُ فيسفرُ عنهمُ وهمُ ركوعُ
أطار الخوف نومهمُ فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ
لهم تحت الظلام وهم سجدُ أنينٌ منه تنفرج الضلوعُ
وخرسٌ بالنهار لطول صمتِ عليهم من سكينتهم خشوعُ
يعانون النحيب إليه شوقاً وإن خضوا فربهم سميعُ

فالذي يسمع هذه الأوصاف ، فلا شك أنه ينجذب ويرغب
ويسير وراءهم ، ويعتقد أن هذا هو الحق الذي لا محيد عنه وليس
سواه غير الباطل .

- ومنها تعلقهم بالشهادة وجعل الموت هو الغاية التي يسعى
إليها المؤمن^(٢) ليستقر بعدها في جنات الخلد ، يقول راجزهم - وقد
تقدم قريباً -:

(١) تاريخ الطبري: (٣٣٠/٤)، وتاريخ خليفة بن خياط: (٣٨٥/١)، والبيان
والتبيين للجاحظ: (٢٧٧/١)، وانظر إلى هذا الوصف هؤلاء الناس الذين فعلوا هذا
الفعل الآثم ، ولم تجف بعد الدماء التي سفكوها ظلماً وعدواناً.
(٢) هذه مسألة غالبية عليهم ، دائماً يشعر المرء أنهم يشجعون أنفسهم ، فالتريبة عندهم
أنهم يعدون للشهادة والموت نموت لندخل الجنة ولا شيء غيره ، ولهذا كل من
لاقاهم يذهل لأنهم لا يوجد عندهم هرب ولا تفكير في الرجوع .

حتى متى تخطئني الشهادة

والموت في أعناقنا قلادة

ليس الضرار في الوغى بعادة

يا رب زدني في التقى عبادة

وفي الحياة بعدها زهادة

و يقول غيره :

أقول لنفسي حين طال حصارها وفارقها للحادثات نصيرها

لك الخير موتي إن في الموت راحةً فيأتي عليها حينها ما يضيرها

فلو أنها ترجو الحياة عذرتها ولكنها للموت يُحدي بغيرها

ويقول ثالث - وقد تقدم - :

لقد زاد الحياة إليّ بغضاً وحباً للخروج أبو بلال

وعروة بعده سقياً ورعياً لعروة ذي الفضائل والمعالي

أحاذر أن أموت على فراشي وأرجو الموت تحت ذرى العوالي

ولو أنني علمت بأن حتفي كحتف أبي بلال لم أبالي

فمن يك همه الدنيا فإني لها والله رب البيت قالي

وفي ذلك يقول أحدهم :

لقد فاز إخواني فنالوا التي بها نجوا من عذاب دائم لا يفتر

أبى الله إلا أن أعيش خلافتهم وفي الله لي عز وحرز ومنصر

ويارب هب لي ضربة بمهند حسام إذا لاقى الضريبة يهبر

فقد طال عيشي في الضلال وأهله
أخاف صروف الدهر إنني رأيتها
أخاف التي يخشى التقى وأحذر
تروح على هذا الأنام وتبكر

ويقول الآخر :

من كان يكره أن يلقي منيته
فالموت أشهى إلى قلبي من العسل
فلا التقدم في الهيجاء يعجلني
ولا الحذار ينجيني من الأجل

وقال آخر :

ومن يخش أظفار المنايا فإننا
وإن كرية الموت حلو مذاقه
لبسنا لهن السابغات من الصبر
إذا ما مزجناه بطيب من الذكر

ومنها جزمهم^(١) بأن قتلاهم شهداء وأنهم في الجنة دار النعيم،
وربما صوروا ما هم فيه من النعيم والسعادة، فهذا يقول في مرداس
بن أديبة :

شرى ابن حدير نفسه الله فاحتوى
جنائنا من الضردوس جماع نعيمها

(١) وهذا أيضًا من الأشياء التي تؤثر على الجهلة والمغرر بهم، لا يوجد أحد يجزم ويصر ويتشدد في أن ما يقوله حق؛ لا يترك مجالاً ولا يدع فرصة لأن يكون عنده خطأ، وأهل السنة لا يشهدون لأحد بجنة أو بنار، لا لأنفسهم ولا لغيرهم، كما أنهم لا يجزمون في الأمور التي ليس عندهم فيها نصوص بأنها حق، وإنما يقولون: هذا ما رأيناه، هذا ما قلناه، هذا ما اجتهدنا فيه، وهذا ما توصل إليه علمنا والعلم عند الله عز وجل، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان. أما هؤلاء فليس عندهم إلا الجزم، ولهذا عندما يجد الجاهل مثل هؤلاء ينساق إليهم ويسير معهم بسهولة.

وقال آخر في مرداس وإخوانه :

كزيد ومرداس وعمرو وكهمس وكابن عقيل في الكتيبة عامر
أقاموا بدار الخلد لا يرتجيههم حميم كما يرجى إياب المسافر

واسمع إلى الثالث وهو يقول :

إني أدين بما دان الشراة به يوم النخيلة عند الجوسق الحرب
النافرين على منهاج أولهم من الخوارج قبل الشك والريب خروا
قوم إذا ذكروا بالله أو ذكروا من الخوف للأذقان والركب
ساروا^(١) إلى الله حتى أنزلوا عرفاً من الأرائك في بيت من الذهب

ورابعهم يرثي مجموعة منهم فيقول :

يا عين أذري دموعاً منك تسجاما وابك صحابة بسطام وبسطاما
فلن تري أبداً ما عشت مثلهم أتقى وأكمل في الأحلام أحلاما
بسيد قد تأسوا عند شدتهم ولم يريدوا عن الأعداء إحجاما
حتى مضوا للذي كانوا له خرجوا فأورثونا منارات وأعلاما
إني لأعلم أن قد أنزلوا عرفاً من الجنان ونالوا ثم خداما
أسقى الإله بلاداً كان مصرعهم فيها سحاباً من الوسمي سجاما

(١) ساروا وتحركوا إلى أن وصلوا إلى الجنة ، متى وصلوا الجنة ؟ بمجرد ما قتلوا صاروا في الجنة ، هكذا بالجزم.

- ومنها إبراز شخصيات ذات أثر وتلميعها ، وإسباغ الثناء عليهم وتقديمهم كمثال وقدوة ، وحشد الناس حول طريقتهم والدعوة إلى مناهجهم ، بل والموت على ما ماتوا عليه ، وبهذه الأمور يبرز للناس شخص ، ويكال له الثناء حتى يتصدر الناس ويصبح في نظرهم أنه رجل غير الرجال ، وأنه صنف آخر ، كلامه لا يرد وحكمه لا يخطئ ، فيتأصل هذا في قلوب الناس حتى يصبح بمثابة شيء مقدّس - نسأل الله العافية - يقدّس كما يقدس الأنبياء ، وبالتالي حين يسمع العوام وأشباه العوام وضعاف النفوس والعقول مثل هذا الثناء وهذا المدح ، وممن يظن فيهم الخير لا يملكون إلا أن يتابعوه في كل ما يقوله ولو لم يعرفوه ، ويقال هذا هو العالم ، وهذا هو المجدد والداعي والمجاهد ، وهذا هو كل شيء ، وقد لا يكون شيئاً من ذلك ، ومن أبرز الشخصيات لديهم أبو بلال مرداس بن أديّة - كما تقدم - ، فاسمع إلى عمران بن حطان وهو يرثيه :

أصبحت عن وجل مني وإيجاس	أشكو كلوم جراح ما لها آسي
يا عين فابكي لمرداسٍ ومصصره	يا رب مرداس ألحقني بمرداس
تركتني هائماً أبكي لمرزئه	في منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك ممن كنت أعرفه	ما الناس بعدك يا مرداس بانئاس

وقد سبق قوله :

ولو أني علمت بأن حتفي كحتف أبي بلال ثم أبالي

وهذا آخر منهم يقول مخاطباً أحد قواد عمر بن عبدالعزيز :

خرجت إلى الشراة وأنت حرب لقد غررت يا بن أبي هلال
وانا معشر قتلوا علياً وعباد بن أخضر في الضلال
وان بصيرتي لما تبدل وأن الدين دين أبي بلال
ويقول غيره :

ندين بدين ضحاك بن قيس ومسكين ودين أبي بلال
ومروان الضعيف وخيبري أولئك منتهى النفر النبالي^(١)
وقد سبق قول أحدهم :

حتى أبيع الذي يفضى بأخرة تبقى على دين مرداس وطواف
وقول غيره وقد تقدم :

وأسال الله بيع النفس محتسباً حتى ألقى في الفردوس حرقوصاً
وابن المنيح ومرداساً وإخوته إذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصاً

فتصوّر من يسمع هذا كله عن مرداس ، ماذا يتصور مرداساً
هذا ؟ ألا يحبه ويتبعه ؟!

٤) تحديد معالم الفكرة التي يحملونها ويدعون إليها :

وهذا من الأشياء التي يثيرون بها عواطف الناس ويستجدونهم
بها : تحديد معالم الفكرة التي يحملونها ويدعون إليها ، واختصارها

(١) أي أصحاب النبيل .

في هدفين أو ثلاثة ، واعتبار أن ذلك هو السبب العظيم لإقامة الدين
وصلاح الدنيا وسعادة الآخرة ، وفيها تقدم من النصوص نلاحظ أن
فكرتهم تركز على محورين أساسيين^(١) :

(أ) إزالة الظلم والجور والانحراف الذي أحدثه خصومهم من
الحكام خاصة ، وذلك بالقضاء عليهم وعلى دولتهم ليقوم مقامه
الدين الحق - بزعمهم - دين الخوارج .

(ب) طلب الشهادة والراحة من هذه الحياة وفتنتها ونصبها ،
ليساعدوا مع من تقدم من إخوانهم في ظلال الجنة وعلى أرائكها وبين
أشجارها وأنهارها .

(١) كل حركتهم حول هذين المحورين ، لا يتصورون كيف يبنون ولا كيف يعمرّون
ولا كيف يحفظون العلم ويورثونه للناس ، ولا غيرها من أمور إقامة الدين والدنيا ،
وهكذا نجد أن بعض الدعوات تحصر نفسها في أمر ضيق ومحدد يسهل على الإنسان
استيعابه ، وتجعل الناس يتهافتون عليها ، ويظنون أن هذا هو كل شيء ، مثلاً : قضية
الأصول الستة لأصحاب (التبليغ) لا يوجد أحد تبليغي لا يحفظها ولا يعرفها ولا
يسعى لنشرها للناس ، فهم حصروا أنفسهم في هذه الأمور ، وبذلك توسعوا ووصلوا
وأثروا ، وهكذا بعض الفرق الأخرى ، يضعون لهم أهدافاً مختصرة مثل ذلك .

وكما قلت - وأقول دائماً - لو أن الأمر يقتصر على أن فلاناً يسعى لأهداف محددة لا
يتخطاها ولا يعمل إلا من خلالها ، ويرى أن هذا جزءاً من الدين وغيره يكمله ؛ لكان
الأمر سهلاً ولكان هذا طبيياً ، فيكتمل بعضنا بعضاً ويتناوب بعضنا مع بعض المهام ؛
فنكون جبهة عريضة واسعة ، كل يقوم بما يذكر به غيره ، لكن المشكلة أن من اجترأ له
جزءاً يسيراً من الدين اعتبر أن هذا هو الدين كله ، وأن الذين يعملون بطرق أخرى
وبوسائل أخرى ضائعون لا يعملون للإسلام ولن يؤيدوا وينصروا الدين ، وهذه هي
نفسها فكرة الخوارج ، وبها استطاعوا أن ينتشروا في أوساط كثير من الناس .

وهذا التحديد والتضييق والحصر للأهداف يسهل استيعابه ،
ويخيل للمدعو أنه يمكن تحقيقه وبسرعة ، فيبادر إلى اعتناقه
والدعوة إليه .

ج) أسباب من جهة عامة الأمة :

وكما كان للوضع السائد إبان انتشار فكر الخوارج ضلع في
ذلك الانتشار ، وكذلك للنفسية الخارجية ، والأسلوب الخارجي
ضلع آخر، فإنه كان في طبيعة عامة المسلمين وجهالهم وفي تكوينهم
الديني والعاطفي ما يساعد على انتشار تلك الأفكار فمن ذلك:

١- نزعة الغلو التي تنطوي عليها النفوس ، والتي إذا لم يكبح
جماحها بالمفاهيم الصحيحة لدين الإسلام ، ولم يكن هناك علم
يردعها ويوقفها عند حدها ، ولم يكن هناك بصيرة تلجمها بلجام
الحلم والتأني انتشرت وطاشت ، وبهذا استغل الخوارج هذا الأمر
وعمدوا إلى إذكائه في الناس ، فتحرك الناس من هذا المنطلق
وساروا .

٢- ومنها الغيرة غير المتزنة ، فنفس المؤمنين منطوية على
شحنات من الغيرة على دين الله ومحارمه ، ولكنها تضعف عندما لا
تجد من يحركها مع فشو انتشار الفتن حولها ، حتى لتكاد تموت من
عدم إمدادها بالطاقة المحركة لها والحافظة لحيويتها ونشاطها ، ومن
كثرة غشيان السموم التي تقذف بها الحواس من سمع وبصر

وملامسة للفتن ، كما في حديث حذيفة رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صحيحه : «تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا...» الحديث^(١).

فإذا وجدت الغيرة من يحركها وينميها ويحسن التعامل معها لإيقاظها استيقظت ، وربما كان استيقاظها ثورة وانفجار بحسب قوة التأثير ، فتتجاوز حد الاعتدال ، ويكون الخوارج أقرب الناس إلى أصحاب هذه الغيرة ، لأنهم يلوحون بالوسائل التي يمكن بها إرضاء هذه الغيرة^(٢).

٣- الابتعاد عن العلماء و اعتبار الخطباء أو القواد العسكريين أو الحركيين هم المرجع ، فعندما تخلو الجماعة أو الفرقة من العلماء أو يقل في المجتمع العلماء أصحاب البصائر النافذة والقواعد الثابتة والقدرة الفائقة على الاستنباط يسهل انتشار الأفكار المنحرفة ، ولذا أرجع الله الأمة إلى أهل الذكر وإلى أولي الأمر القادرين على الاستنباط ، وهكذا نجد الحركات المنحرفة أول ما تحرص عليه :

(١) صحيح مسلم: ١ / ١٢٨ برقم ١٤٤.

(٢) وهذا يحصل دائماً وكما كان في السابق فهو أيضاً موجود في العصور المتأخرة ؛ عندما ظهرت جماعة الهجرة أو الجهاد كيف انتشروا في مصر ؟ لأنهم شدوا على هذا الوتر وجاءوا إلى الشباب المتقي المتجه إلى الخير وضربوا على هذا الوتر فحصل لهم انتشار عظيم ، ولكن - دائماً - الزيد يذهب جفاء .

فصل الأمة عن علمائها^(١) بعدة أساليب منها : تشويه صورهم واعتبارهم عاجزين عن القيادة والتنفيذ ، أو أنهم مدهنون للحكام ، أو مقلدون غير مؤهلين للأخذ عنهم ، أو أنهم مبتدعة ، ومحاوله إضفاء صفات العلماء على جهال تسلقوا إلى القيادات ، ونشر صفاتهم الحميدة وهذا يضلون ويضلون .

٤- قلة الصبر و ضعف الحكمة في الدعوة إلى الله والاستعجال في اجتناء النتائج ، ومن كانت هذه صفته فإنه يمد يده لكل من رفع شعاراً أو حمل راية ، دون تثبت مما وراء تلك الشعارات وتلك الرايات .

٥- الهروب من الواقع والتخلص من المشاكل التي يواجهها بعض الشباب ، هو الذي يدفع بهم إلى الالتحاق بصفوف الخوارج المحاربين للمجتمع أو أي متنفس آخر ، فهذه المشاكل تدفع بهذا الإنسان إلى أن يلجأ إلى أي فئة من أجل أن يشعر أنه محاط بإخوان وأصحاب ، ومحمي من الجماعة التي يعيش معها ، وينسى بها مشاكله وهمومه . وكم قد سألتني بعض الأخوة أيام الجهاد الأول في أفغانستان عن حكم الذهاب مع عدم رضا الوالدين ، وعندما أبحث معه أجد أن لديه مشاكل منزلية وأسرية يريد أن يتخلص

(١) والمقصود بهذا أن يحال بين الأمة وبين علمائها ليسهل على كل ذي فكر أن ينشر فكره ، ولا يجيد من يقوم بدحضه ورده وتبصير الناس به .

منها ، وهكذا أيام الثورات فإن كثيرًا من المطلوبين للعدالة أو المنبوذين من المجتمع ينضمون إليها ، وحتى الذهاب إلى طلب العلم والهجرة إلى موطنه^(١) أحيانًا يكون من ذلك القبيل .

٦- طلب المطامع الدنيوية : فمن الناس من يسعى للمناصب والقيادات والظهور بمظهر التسلط و النفوذ ، ومنهم من يطمع في المال والمكاسب ، ومنهم من تستهويه الريادة العلمية من التدريس والفتوى ، فمتى وجد الجماعة التي تهيئ له ذلك وتسهله عليه بادر إليها وسار إلى هدفه من خلالها، ومن المعروف أن الخوارج يستيبحون نساء خصومهم وأموالهم ودمائهم وأعراضهم وكل شيء ، وبعض الناس يجد أن الخروج مع الخوارج سبب للشهرة والغنى وتبوأ المناصب واكتساب المال أو الوصول إلى النساء الفاتنات الجميلات فيذهب ويجحوظ هذه المغامرات ، وليس ببعيد عنكم اليوم الذين يدعون بالمرتزقة فهم يذهبون إلى قضايا ما لهم فيها أي مصلحة أو هدف ، ولكن من أجل البحث عن شهرة أو

(١) وهنا أذكر أن عددًا من الشباب يسألون : نريد أن نذهب إلى مركز من مراكز العلم لكن أهلنا غير راضين ؟ فما سبب ذهابهم ؟ عند السؤال تجد أن المشكلة - لدى بعضهم- ليست رغبة في طلب العلم ، وليست محبة في الازدياد من الخير ، وإنما المشكلة أن أهله ضيقوا عليه ربما لوجود مشكلة أسرية عائلية . وهكذا مثل هؤلاء يهربون ويذهبون ويلحقون بهذه الطوائف ، سواء كانوا أهل سنة أو أهل بدعة المهم الهرب والخروج من المشكلة التي يعيشون فيها ، فهؤلاء يكثر سواد الخوارج .

مال ويُقتل من يقتل منهم ، ويسجن من يسجن منهم ، وينجح ويفوز من يفوز ، هذا موجود في كثير من البلدان ، وهؤلاء أيضًا ممن يكثرُّ سواد الخوارج .

وإن كان هذا المسلك محفوف بالمخاطر ، وقد يجرمه من القليل والكثير ويعرضه للموت الذي لا أجر فيه ، كما كان أحد الخوارج يقاتل ويرتجز ويصف واحدًا من هذا الصنف فيقول :

وخارج أخرجـه حب الطمع
فرَّ من الموت وفي الموت وقع
من كان ينوي أهله فلا رجـع^(١)

(١) أي إذا لم تخرج من أجل الموت فلا فائدة من جهادك .

الختمة

في بيان أن الباطل زائل
لا محالة ولا ثبات إلا للحق

علينا أن نتذكر بإيمان و يقين قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١) ، وقوله جل ذكره: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيدُهْبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢). ثم نستعرض التاريخ لنرى كم من فرق ضالة انتشرت وسيطرت ، وظن الناس أن إليها المنتهى وبها يختم تاريخ الإسلام ثم ولَّت أدراج الرياح: ابتداءً بالخوارج ، ثم بالرافضة ، ثم بالباطنية بشقيها الباطني السافر والفاطمي^(٣) الماكر ، وبالتصوف الغالي الباطني، وبالمعتزلة التي سيطرت على أعظم الخلفاء من بني العباس، وبواسطتهم ثبتت أركانها و شادت بنيانها، ثم انهار على

(١) إبراهيم: ٢٤.

(٢) الرعد: ١٧.

(٣) دولة الفاطميين الباطنية ملكت من المغرب العربي حتى وصلت إلى حدود العراق والحجاز واليمن ، كوّنت دولة قوية ذات عمران وحضارة ، وفي النهاية انتهت ودخلها صلاح الدين ، واستولى على قصورها وملكها وانتهت ، وبقي منها دولة القرامطة التي تركزت في القطيف والإحساء من المنطقة الشرقية ف المملكة العربية السعودية، اليوم نفس الكلام قالوا وفعلوا وفعلوا ، فإذا بهم انتهوا ، وفي كل العصور تجد أن هناك من هذه الفرق الضالة والأفكار المنحرفة تزداد اتساعاً وتنتشر وتتضخم حتى يخيل للناس أنها هي الوارثة للجميع ، لكنها ما تلبث أن تتآكل من داخلها حتى تذوب كما يذوب الملح في الماء .

رؤوسها. ثم في العصر الحديث جماعة التكفير والهجرة^(١) وغيرها من الجماعات المنحرفة ، كيف انتفشت وتضخمت حتى خيل أن أهلها هم الوارثون لكل الجماعات الأخرى ثم انهاروا فما لهم من قرار ، ونختم بذكر لمحة من كتاب الشيخ/ محمد سرور (الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو) عن بعض الأصول التي كانت عليها جماعة التكفير والهجرة وهي أشهر جماعة خارجية في هذا العصر ، فنقول :
واجه شكري مصطفى - رئيس الجماعة - تعارض تصوراته الجديدة مع أصول الإسلام التي أجمعت عليها الأمة منذ عصر رسول الله ﷺ ، وحتى يومنا هذا ، وخرج من هذه الورطة بالنتائج التالية :

- ١- وجد أن فكره يتعارض مع الأمور الشائعة لدى الأمة ، فخرج برفضه القياس على مختلف أشكاله وأنواعه .
- ٢- زعم أن قول الصحابي وفعله ليس حجة ولو كان من الخلفاء الراشدين .

(١) حتى ظهروا في اليمن وحوّلوا قراها لمذهبهم الباطل بما فيهم الشيبان والعجزة والصغار ، وأين هم الآن؟ من تبقى منهم يجلس مع نفسه يخزن ويدخن ويبيع القات ويكفر المسلمين أو معتزلاً واقع الناس لا يفقه ديناً ولا يدرك واقعاً ومآلات .

٣- كان يرى أن الإجماع ليس دليلاً شرعياً على الإطلاق ، وإن كان صحيحاً أو ثبوتياً صريحاً أو سكوتياً أو كان إجماع الصحابة رضي الله عنهم .

٤- ألغى التاريخ الإسلامي وأقوال العلماء المحققين ، وأمّهات كتب التفسير والعقائد .

٥- زعم بأن كبار علماء الأمة في القديم والحديث مرتدون عن الإسلام .

٦- قال بحجية الكتاب والسنة!! ولكنه كغيره من أصحاب البدع الذين اعتقدوا رأياً ، ثم حملوا ألفاظ القرآن والسنة عليه ، فما وافق أقوالهم قبلوه ، وما خالفها تحايّلوا في رده أو ردوه ، والمتأمل يجد أن بين فهمه وفهم السلف الصالح هوة واسعة وبعداً كبيراً .

٧- زعم شكري أن كل مسلم عليه أن يعرف الأحكام بأدلتها ، ولا يجوز التقليد في أي أمر من أمور الدين أصلاً كان أو فرعاً ، ومن قال بغير ذلك فقد كفر وارتد عن الإسلام^(١) .

فبالجملة توجد عنده أدلة شرعية تعني أن الأوامر الصادرة عن القيادة ليس لأحد من الناس الحق في مخالفتها ولو بدليل واضح من الكتاب والسنة ، فهو نظرياً يقول بالكتاب والسنة ، ولكن عملياً القول الفصل هو الصادر من القيادة ، فهو يقول لك إن هذه الأدلة التي تأتي بها ليست

(١) راجع بعضاً من هذا في صفحات متفرقة من كتاب: الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو.

صحيحة والقيادة أدرى منك بالكتاب والسنة وبفهم السلف الصالح ، وقول القيادة عندهم هو قول شكري ، قد يستشير أحياناً وقد يترك الاستشارة أحياناً أخرى ، وعنده أن الأمور دين واحد لا يجوز أن يتعدد ، ورب واحد ليس له شريك أو مثيل ، فالقبلة واحدة هي مكة المكرمة قبله ، ومصر هي جماعة واحدة يعني جماعته ، وإمام واحد وهو شكري مصطفى ، وهم أهل السنة والجماعة وهم أهل الإسلام ، ومن عداهم فهو كافر.

هذه بعض تصورات شكري مصطفى وجماعته الخوارج الجدد ، فنأمل أن لا تتسرب هذه الأفكار والتصورات وهذه الأصول التي وضعوها محلاً لما كان عليه أهل الإسلام من الأصول العلمية والعملية والعقائدية .

نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجنبنا وإياكم الأهواء والفتن والبدع والمبتدعين ، وأن يجعلنا ممن يبصر الحق وينضم إليه ويتمي إليه ، وأن لا يغتر لا بكثرة ولا بأسماء ولا بشخصيات ولا بشعارات ، وإنما يكون تأثرنا واقتناعنا واتباعنا للحجة الواضحة والبرهان الساطع والدليل البين ، وأن تكون مقاصدنا خالصة لوجه الله ، لا نريد من وراء ذلك أي غرض من أغراض الدنيا إنه سميع مجيب .
وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة الناشر
٥	مقدمة المؤلف
٩	أسباب اختيار هذا الموضوع
١٧	الفصل الأول : التعريف بالخوارج ونبذة عن نشأتهم وجذورهم التاريخية
١٨	أولاً : تعريف الخوارج .
١٩	ثانياً : نشأتهم وجذورهم التاريخية .
٢٩	الفصل الثاني : الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ في الخوارج
٣٠	الحديث الأول .
٣١	الحديث الثاني .
٣٢	الحديث الثالث .
٣٢	الحديث الرابع .
٣٣	الحديث الخامس .
٣٣	الحديث السادس .
٣٤	الحديث السابع .
٣٤	الحديث الثامن .
٣٤	الحديث التاسع .
٣٥	الحديث العاشر .
٣٦	الحديث الحادي عشر .
٣٦	الحديث الثاني عشر .
٣٦	الحديث الثالث عشر .
٣٩	الفصل الثالث : تفصيل الصفات التي وصفهم بها النبي ﷺ في الأحاديث المتقدمة .
٤٠	أولاً : سميتهم الظاهرة الخشونة والغلظة وسوء الخلق .
٤١	ثانياً : حداثة أسنانهم وخفة عقولهم وسطحية تفكيرهم .

- ٤٥ ثالثاً : مبالغتهم في التعبد والتعمق والغلو في ذلك .
- ٤٧ رابعاً : إعجابهم برايهم .
- ٤٨ خامساً : تطاولهم على أهل العلم والفضل .
- ٥٣ سادساً : ظاهريتهم المفرطة مع القرآن والغاء السنة .
- ٥٤ سابعاً : سوء استدلالهم بالقرآن .
- ٥٥ ثامناً : سلوكهم المنحرف بقتلهم أهل الإسلام وتركهم أهل الأوثان .
- ٥٨ تاسعاً : قولهم من قول خير البرية .
- ٥٨ عاشراً : منزلتهم عند الله .
- ٦٠ الحادي عشر : وجوب قتالهم وقتلهم وأجر من قتلهم أو قتلوه .
- ٦٠ الثاني عشر : مصيرهم في الآخرة وأنهم (كلاب النار).
- ٦٣ جملة اعتراضية .
- ٦٧ **الفصل الرابع : أبرز أصول الخوارج :**
- ٦٨ الأصل الأول : التكفير بالمعاصي .
- ٧٤ الأصل الثاني : الخروج على أئمة المسلمين .
- ٨٥ الأصل الثالث : خروجهم على الأمة باستحلال دمانهم وأموالهم وأعراضهم ...
- ٨٦ الأصل الرابع : عدم إعدار المخالف لهم مهما كانت حجته ...
- ٩٥ **الفصل الخامس : أهم الأسباب التي دعت إلى انتشار فكر الخوارج في صدر الإسلام**
- ٩٧ (أ) أسباب من جهة الأوضاع السياسية والاجتماعية ...
- ١٠٥ (ب) أسباب من جهة الخوارج أنفسهم .
- ١١٧ (ج) أسباب من جهة عامة الأمة .
- ١٢٣ **الخاتمة : في بيان أن الباطل زائل لا معالجة ولا ثبات إلا للحق.**
- ١٢٨ الفهرس .



مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات حديث الإنجاز ومصدر الفخر والامتنان لشركاء النجاح

❁ مشروع كتاب الكلمة الطيبة الدعوي :

❁ سلسلة الرسائل الجامعية :

- ١ - القبورية في اليمن (نشأتها - آثارها - موقف العلماء منها)، للشيخ / أحمد بن حسن المعلم.
- ٢ - تفسير ابن الأمير الصناعي (تحقيق ودراسة القسم الأول من المخطوطة للباحث/ هدى بنت محمد بن سعد القباطي - رحمها الله.
- ٣ - البعد الديني ومفهوم العوالة (المفهوم / العوالة الاقتصادية ، السياسية ، الثقافية) ، للباحث/ الخضر بن عبد الملك الشيباني .

❁ سلسلة رسائل الأحكام الفقهية :

- ١ - شرح أحاديث الصيام من كتاب بلوغ المرام، للشيخ / ناظم بن سلطان المسباح (خمس طبعات).
- ٢ - رفع القناع شرح منظومة أحكام الرضاع ، شرحها : سالم بن عمر باسماعيل .
- ٣ - هداية الناسك لأحكام المناسك ، للشيخ / ناظم بن سلطان المسباح .
- ٤ - مختصر هداية الناسك لأحكام المناسك ، للشيخ / ناظم بن سلطان المسباح .
- ٥ - خلاصة الكلام في فقه الصيام ، للشيخ / محمد أحمد الحداد (طبعتان).
- ٦ - مقدمة في فقه المصلحة والضرورة ، للشيخ / عمار بن ناشر العريقي .
- ٧ - مقدمة في فقه المصلحة والضرورة في السياسة الشرعية ، تأليف: الشيخ / عمار بن ناشر العريقي .

❁ سلسلة رسائل التوجيهات والآداب :

- ١ - الحقوق السوية بين الزوجين ، للشيخ / ناظم بن سلطان المسباح .
- ٢ - الحقوق السوية بين الزوجين ، للشيخ / ناظم بن سلطان المسباح «طبعة ملونة مزيدة» (طبعتان).
- ٣ - الثأر (دراسة شرعية واقعية للأسباب والطرق المقترحة للعلاج) للدكتور / سعيد منصور موفعة .
- ٤ - أخلاقيات العمل الإداري ، للدكتور / عبد العزيز صغير دخان .
- ٥ - السنن العشر الثابتة في الرزق ، للباحث / أنيس سالم الشيباني .
- ٦ - رسالة إلى معلم القرآن ، تأليف: محفوظ عبدالله قاسم .
- ٧ - إذكاء المواهب (قصائد ومنظومات في العقيدة والمنهج والآداب والأحكام) ، للشيخ / أحمد بن حسن المعلم .
- ٨ - التعليقات التربوية في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ، للباحث / الخضر بن عبد الملك الشيباني .
- ٩ - معالم و منارات لورثة الأنبياء وطلبة العلم ، تأليف: الشيخ / عارف بن أحمد الصبري .
- ١٠ - مهارات زوجية من بيت النبوة ، للشيخ / منذر عبد الواسع محمد .
- ١١ - كيف تنجح في رمضان؟ ، تأليف الدكتور / عمر المديفر .

❖ سلسلة رسائل العقيدة والمنهج :

- ١- المختصر في أصول ومعالم الدعوة السلفية ، أعده وراجعته : مجموعة من الدعوة .
- ٢- المولد النبوي أصله وحقيقته ، للشيخ / أحمد بن حسن المعلم .
- ٣- يوم عاشوراء ومقتل الحسين - رضي الله عنه - ، للشيخ / أحمد بن حسن المعلم .
- ٤- عقيدة المسلم في آل البيت بين الغلو والجهاد ، للدكتور/ يحيى بن عبد الله الأسدي (طبعتان) .
- ٥ - أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ، موقع مهتدون الإلكتروني (طبعتان) .
- ٦- الزيدية في اليمن - حوار مفتوح مع الشيخ / محمد بن محمد المهدي، إعداد : أنور الخضري .
- ٧- مخالفات منهجية في طريق الدعوة إلى الجهاد ، تأليف : فارس بن طالب العزاوي .
- ٨- التشيع في اليمن بين الزيدية والإمامية وجوه الاتفاق والافتراق - تأليف : الشيخ / محمد بن محمد المهدي .
- ٩- مخالفات عاشوراء دراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، للدكتور/ عبدالرحمن بن عبدالله .
- ١٠- الدولة المدنية الديمقراطية وخطرها على الثورات العربية ، تأليف : الشيخ / عارف بن أحمد الصبري .
- ١١- فقه التعامل مع الحكام ، دراسة منهجية لأساليب التعامل مع الحكام في واقعنا المعاصر ، تأليف : الشيخ / أحمد بن حسن المعلم .
- ١٢- إستراتيجية الغرب في علمنة المجتمعات المسلمة - علمنة التشريعات (اليمن نموذجًا) ، تأليف : الشيخ / عارف بن أحمد الصبري .
- ١٣- حكم الإساءة إلى الله تعالى ، أو رسله ، أو آياته ، تأليف : الشيخ / عارف بن أحمد الصبري .
- ١٤- واجبتنا نحو الصحابة ، تأليف : عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر .
- ١٥- أسباب انتشار فكر الخوارج في صدر الإسلام ، تأليف : الشيخ / أحمد بن حسن المعلم .

❖ سلسلة رسائل نحو ثقافة ملتزمة :

- ١- إلى من يمه الأمر ، مجموع مقالات في مجلة المنتدى ، للشيخ / عبد العزيز الدبيعي .
- ٢- مواقف من السيرة ، مجموع مقالات في مجلة المنتدى ، للشيخ / عقيل بن محمد المقطري .
- ٣- التربية الطريق الأمثل للتغيير ، للشيخ / عمار بن ناشر العريقي .
- ٤- موقفة الربا وبشائر سقوط الرأسمالية ، تأليف / الخضر بن عبد الملك الشيباني .
- ٥- الثوابت في القضية الفلسطينية (قضية المسلمين الأولى) ، تأليف : الشيخ / عارف الصبري .
- ٦- ذهنية التحريم ، تأليف : الشيخ / عمار بن ناشر العريقي .
- ٧- الثورة في ضوء سنن الله تعالى ، تأليف : الدكتور / محمد بشر القباطي .
- ٨- مؤتمر الحوار الوطني .. عَمَّا زُ أُم دَمَار ؟! ، للشيخ / عارف بن أحمد الصبري .

❖ سلسلة الكتاب الوثائقي :

- ١ - غزوة الصمود ، كتاب وثائقي عن الحرب الصهيونية ضد قطاع غزة ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م ، أعده وراجعته : مجموعة من الباحثين .

❖ مشروع مطوية (واحة الكلمة الطيبة):

- ١- هدية عيد الفطر المبارك ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠,٠٠٠ نسخة.
- ٢- هدية عيد الأضحى المبارك ١٤٢٩ هـ = ٥٠٠,٠٠٠ نسخة.
- ٣- هدية التحذير من عيد الحب = ٥٠,٠٠٠ نسخة.
- ٤- هدية عيد الأضحى المبارك ١٤٣٠ هـ = ٢٢٠,٠٠٠ نسخة.
- ٥- مطوية حيّ على الصلاة = ٢٠٠,٠٠٠ نسخة.
- ٦- هدية عيد الأضحى المبارك ١٤٣١ هـ = ١٠٠,٠٠٠ نسخة.
- ٧- مطوية عدن ثغر اليمن الباسم = ١٠٠,٠٠٠ نسخة.
- ٨- مطوية الأمل والأصحاب = ٢٠٠٠ نسخة.
- ٩- مطوية رمضان فرصة ١٤٣٣ هـ = ٣٠,٠٠٠ نسخة.
- ١٠- مطوية عيد الأضحى المبارك ١٤٣٣ هـ = ٢٠٠,٠٠٠ نسخة.

❖ مشروع التأهيل والتدريب الإعلامي استفاد منه أكثر من (١٢٠) متدرباً ومتدربة.

❖ مشروع المنح التشجيعية لطلاب العلم والباحثين قدمت من خلاله أكثر من (٢٥٠) منحة.

❖ مشروع المسابقات الصحفية والبحثية والندوات تم من خلاله تقديم جوائز تجاوز (٢,٠٠٠,٠٠٠) ريال.

❖ مشروع المساعدات للباحثين والإعلاميين تم من خلاله تقديم مساعدات بأكثر من (٨,٠٠٠,٠٠٠) ريال.

❖ مشروع المكتبات البحثية للمراكز والمكتبات المسجدية بلغ ما تم توزيعه في هذا المشروع أكثر من (٢,٥٠٠,٠٠٠) ريال.

❖ مشروع التربية على مائدة القرآن . تم من خلاله توزيع (١٠,٠٠٠) نسخة من المصحف الشريف.